الباب التاسع عشر

فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله غين

الغي(١)

أصله الفساد ، يقال : غوى الرجل ؛ إذا فسد طريقته في الدين ، ورجل غاو وغوى ؛ إذا فسد عيشه وأمره أيضا ، وغوى الفصيل إذا بشم من كثرة شرب اللبن ، وقيل أيضا ذلك له إذا لم يزو من لبن أمه فمات هزلا ، فقيل في الرجل غوى وفي الفصيل غوى والأصل واحد .

وهو في القرآن على ثلاثة أوجه :

(١) الفرق بين الغي والضلال : أن أصل الغي الفساد ومنه يقال غوى الفصيل إذا بشم من كثرة شرب اللبن وإذا لم يرو من لبن امه فمات هزلا .
فالكلمة من الاضداد ، وأصل الضلال الهلاك ومنه قولهم ضلت الناقة إذا هلكت بضياعها وفي القرآن " أءذا ضللنا في الارض " أي : هلكنا بتقطع أوصالنا فالذي يوجبه أصل الكلمتين أن يكون الضلال عن الدين أبلغ من الغي فيه ويستعمل الضلال أيضا في الطريق كما يستعمل في الدين فيقال ضل عن الطريق إذا فارقه ولا يستعمل الغي إلا في الدين خاصة فهذا فرق آخر وربما استعمل
الغي في الخيبة يقال غوى الرجل إذا خاب في مطلبه وأنشد قول الشاعر :
فمن يلق خيرا يحمد الناس أمره * ** ومن يغو لا يعدم على الغي لائما
وقيل أيضا : معنى البيت أن من يفعل الخير يحمد ومن يفعل الشر يذم فجعل من المعنى الاول ويقال أيضا ضل عن الثواب ومنه قوله تعالى " كذلك يضل الله الكافرين " والضلال بمعنى الضياع يقال هو ضال في قومه أي ضائع ومنه قوله تعالى " ووجدك ضالا فهدى " أي ضائعا في قومك لا يعرفون منزلتك ويجوز أن يكون ضالا أي في قوم ضالين لان من أقام في قوم نسب إليهم كما قيل خالد الحذاء لنزوله بين الحذائين وأبو عثمان المازني لاقامته في بني مازن لم يكن منهم ، وقال أبو علي رحمه الله : " ووجد ضالا فهدى " أي وجدك ذاهبا إلى النبوة فهي ضالة عنك كما قال تعالى " أن تضل إحداهما " وإنما الشهادة هي الضلالة عنها وهذا من المقلوب المستفيض في كلامهم ويكون الضلال الابطال ومنه " أضل أعمالهم " أي أبطلها ، ومنه " ألم يجعل كيدهم في تضليل " ويقال ضللني فلان أي سماني ضالا ، والضلال يتصرف في وجوه لا يتصرف الغي فيها .
والفرق بين الغي والفساد : أن كل غي قبيح ويجوز أن يكون فساد ليس بقبيح كفساد التفاحة بتعينها ويذهب بذلك إلى أنها تغيرت عن الحال التي كانت عليها ، وإذا قلنا فلان فاسد إقتضى ذلك أنه فاجر وإذا قلت إنه غاو إقتضى فساد المذهب والاعتقاد . [الفروق اللغوية :١/ ٣٩٣] .

الأول : فساد العيش ؛ قال تعالى : ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبهُ فَغَوَى﴾ [سورة طه آية : ١٢١] أي : فسد عيشه في الجنة ، أخبرنا بذلك أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد رحمه الله ، عن أبي عمر الزاهد ، عن ثعلب ، وأصل الغي الفساد على ما ذكرنا ؛ فإن قيل : أنتم تزعمون أن صاحب الصغيرة لا يقال أنه عاص قولا مطلقا ، وقد قال الله ذلك لآدم ، وكذلك وصفه إياه بأنه غوى ، قلنا : إنما قال ذلك مضمنا بالقصة التي عصى فيها ، فكان ذلك كالتقييد ؛ فكأنه قال : أنه عصى في كذا وأحرى ؛ فإن السيد يطلق في عبده إذا عصاه ما لا يجوز أن يطلقه فيه غيره .

الثاني : فساد الطريقة في الدين ؛ قال تعالى : ﴿إلا مَنِ اتبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [سورة الحجر آية : ٤٢] .

الثالث : العذاب ؛ قال : ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيا﴾ [سورة مريم آية : ٥٩] أي : عذابا ؛ وإنما سمي العذاب غيا لأنه مجادلة على الغي ، وقيل : غي واد في جهنم .

obeikandl.com

الغيب

أصل الغيب الستر ، وغيبت الشيء في التراب ؛ إذا سترته فيه ، والغيب : ما استتر عنك ، وأصله ما سترك من قولك : نحن في غيب هذا الوادي ؛ أي : حيث يستتر به ، وكل ما ستر شيئا فهو غيابة ، ومنه غيابة الجب .

والغيب في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : الخلوة ؛ قال الله : ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾[1] [سورة البقرة آية : ٣] يعني : أنهم يخلصون العمل في خلواتهم خلاف المنافقين الذين يظهرون خلاف ما يبطنون ، وقيل :

---

(١) قال الرازي : في قوله تعالى : ﴿ يُؤْمِنُونَ بالغيب ﴾ قولان : الأول : وهو اختيار أبي مسلم الأصفهاني أن قوله : ﴿ بالغيب ﴾ صفة المؤمنين معناه أنهم يؤمنون بالله حال الغيب كما يؤمنون به حال الحضور ، لا كالمنافقين الذين إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا : إنا معكم إنما نحن مستهزءون . ونظيره قوله تعالى : ﴿ ذلك لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بالغيب ﴾ [يوسف : ٥٢] ويقول الرجل لغيره : نعم الصديق لك فلان بظهر الغيب ، وكل ذلك مدح للمؤمنين بكون ظاهرهم موافقاً لباطنهم ومباينتهم لحال المنافقين الذين يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والثاني : وهو قول جمهور المفسرين أن الغيب هو الذي يكون غائباً عن الحاسة ثم هذا الغيب ينقسم إلى ما عليه دليل ، وإلى ما ليس عليه دليل . فالمراد من هذه الآية مدح المتقين بأنهم يؤمنون بالغيب الذي دل عليه دليل بأن يتفكروا ويستدلوا فيؤمنوا به ، وعلى هذا يدخل فيه العلم بالله تعالى وبصفاته والعلم بالآخرة والعلم بالنبوة والعلم بالأحكام وبالشرائع فإن في تحصيل هذه العلوم بالاستدلال مشقة فيصلح أن يكون سبباً لاستحقاق الثناء العظيم . واحتج أبو مسلم على قوله بأمور : الأول : أن قوله : ﴿ والذين يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وبالآخرة هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [البقرة : ٤] إيمان بالأشياء الغائبة فلو كان المراد من قوله : ﴿ الذين يُؤْمِنُونَ بالغيب ﴾ هو الإيمان بالأشياء الغائبة لكان المعطوف نفس المعطوف عليه ، وأنه غير جائز : الثاني : لو حملناه على الإيمان بالغيب يلزم إطلاق القول بأن الإنسان يعلم الغيب ، وهو خلاف قوله تعالى : ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الغيب لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ ﴾ [الأنعام : ٥٩] أما لو فسرنا الآية بما قلنا لا يلزم هذا المحذور الثالث : لفظ الغيب إنما يجوز إطلاقه على من يجوز عليه الحضور ، فعلى هذا لا يجوز إطلاق لفظ الغيب على ذات الله تعالى وصفاته ، فقوله : ﴿ الذين يُؤْمِنُونَ بالغيب ﴾ لو كان المراد منه الإيمان بالغيب لما دخل فيه الإيمان بذات الله تعالى وصفاته ، ولا يبقى فيه إلا الإيمان بالآخرة ، وذلك غير جائز لأن الركن العظيم في الإيمان هو الإيمان بذات الله وصفاته ، فكيف يجوز حمل اللفظ على معنى يقتضي خروج الأصل أما لو حملناه على التفسير الذي اخترناه لم يلزمنا هذا المحذور . والجواب عن الأول : أن قوله : ﴿ يُؤْمِنُونَ بالغيب ﴾ يتناول الإيمان بالغائبات على الإجمال ثم بعد ذلك قوله : ﴿ والذين يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾ يتناول الإيمان ببعض الغائبات فكان هذا من

هو البعث ، والأول أجود عندي ؛ لأن البعث ليس يعيب مع شهرة أمره ومع ما يدل عليه من العقل والسمع .

الثاني : ما غاب عن الأبصار ؛ قال تعالى : ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ أي : ما غاب وما حضر .

الثالث : الوحي ؛ قال الله : ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ [سورة التكوير آية : ٢٤] أي : ما هو على الوحي بمتهم ، والظنين المظنون ، وظننت في هذا يتعدى إلى مفعول واحد ، ظننته أي : أتهمته .

باب عطف التفصيل على الجملة ، وهو جائز كما في قوله : ﴿وملائكته وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلُ وميكال﴾ [البقرة : ٩٨] وعن الثاني : أنه لا نزاع في أنا نؤمن بالأشياء الغائبة عنا ، فكان ذلك التخصيص لازماً على الوجهين جميعاً . فإن قيل أفتقولون : العبد يعلم الغيب أم لا ؟ قلنا قد بينا أن الغيب ينقسم إلى ما عليه دليل وإلى ما لا دليل عليه أما الذي لا دليل عليه فهو سبحانه وتعالى العالم به لا غيره ، وأما الذي عليه دليل فلا يمتنع أن تقول : نعلم من الغيب ما لنا عليه دليل ، ويفيد الكلام فلا يلتبس ، وعلى هذا الوجه قال العلماء : الاستدلال بالشاهد على الغائب أحد أقسام الأدلة . وعن الثالث : لا نسلم أن لفظ الغيبة لا يستعمل إلا فيما يجوز عليه الحضور ، والدليل على ذلك أن المتكلمين يقولون هذا من باب إلحاق الغائب بالشاهد . ويريدون بالغائب ذات الله تعالى وصفاته والله أعلم . [مفاتيح الغيب :١/ ٢٩٥-٢٩٦] .

الباب العشرون

فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله فاء

الفساد[1]

قد تقدم من قولنا فيه ما يكفي ، وهو في القرآن على خمسة أوجه :

الأول : الميل مع الكفار ؛ قال الله : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [سورة البقرة آية : ١١] وذلك أن المنافقين كانوا يمالون الكفار فيجترئون على المسلمين ويطمعون في النيل منهم والغلبة عليهم ، ويسرعون إلى محاربتهم ؛ وفي ذلك الفساد في الأرض ؛ لأن الحرب مفسدة للمال ومهلكة للنفس .

الثاني : الهلاك ؛ قال الله : ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ [سورة المؤمنون آية : ٧١] والدليل على أنه أراد الهلاك قوله : ﴿وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ قال بعض المفسرين : الحق هو الله تعالى ؛ أي : لو اتبع الله أهواءهم .

وقيل : هو القرآن ؛ أي : لولا أنزل القرآن بما يريدون ، وليس يصح تفسيرا لأنه على هذه الآية على هذين الوجهين .

والصواب ما قال أبو علي رضي الله عنه : وهو أنه لو صح ما يدين به الكفار من جعلهم الأصنام آلهة مع الله لتفاوتت أفعالهم ، ولتمانعوا ففسدت السماوات والأرض ومن فيهن من الملائكة والإنس والجن ، وهذا مثل قوله : ﴿إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [سورة المؤمنون آية : ٩١] ، ومعنى : ﴿لَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [سورة

---

(١) (ف س د) : فَسَدَ الشَّيْءُ فُسُودًا مِنْ بَابِ قَعَدَ فَهُوَ فَاسِدٌ وَالْجَمْعُ فَسْدَى وَالِاسْمُ الْفَسَادُ وَاعْلَمْ أَنَّ الْفَسَادَ لِلْحَيَوَانِ أَسْرَعُ مِنْهُ إِلَى النَّبَاتِ وَإِلَى النَّبَاتِ أَسْرَعُ مِنْهُ إِلَى الْجَمَادِ لِأَنَّ الرُّطُوبَةَ فِي الْحَيَوَانِ أَكْثَرُ مِنْ الرُّطُوبَةِ فِي النَّبَاتِ وَقَدْ يَعْرِضُ لِلطَّبِيعَةِ عَارِضٌ فَتَعْجِزُ الْحَرَارَةُ بِسَبَبِهِ عَنْ جَرَيَانِهَا فِي الْمَجَارِي الطَّبِيعِيَّةِ الدَّافِعَةِ لِعَوَارِضِ الْعُفُونَةِ فَتَكُونُ الْعُفُونَةُ بِالْحَيَوَانِ أَشَدَّ تَشَبُّثًا مِنْهَا بِالنَّبَاتِ فَيُسْرِعُ إِلَيْهِ الْفَسَادُ فَهَذِهِ هِيَ الْحِكْمَةُ الَّتِي قَالَ الْفُقَهَاءُ لِأَجْلِهَا وَيُقَدَّمُ مَا يَتَسَارَعُ إِلَيْهِ الْفَسَادُ فَيُبْدَأُ بِبَيْعِ الْحَيَوَانِ وَيَتَعَدَّى بِالْهَمْزَةِ وَالتَّضْعِيفِ وَالْمُفْسَدَةُ خِلَافُ الْمَصْلَحَةِ وَالْجَمْعُ الْمَفَاسِدُ . [المصباح المنير :٧/ ١٩٣] .

المومنون آية :٧١] أنه لو وافق الحق أهوائهم ولعبادة هذه الأصنام ؛ فجعل موافقة الحق أهوائهم إتباعا من الحق لهواهم على سبيل المجاز ، وقال : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلا اللهُ لَفَسَدَتَا﴾ [سورة الأنبياء آية : ٢٢] أي : لهلكنا ولم نقوم ، ومن هذه الآية أخذ المتكلمون دليل التمانع ، ومن قوله : ﴿وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [سورة المؤمنون آية : ٩١] .

الثالث : القحط ، قال الله : ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ [سورة الروم آية : ٤١] أي : قد كسبوا الذنوب فعجل لهم العقوبة بالقحط ، ودليل ذلك قوله : ﴿لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [سورة الروم آية : ٤١] أي : لكي يتذكروا فيتوبوا ، ولعلا هاهنا بمعنى لام كي ، وفي هذا دليل على أن بعض ما يحمل الله العبد من المكاره تنبيه وبعضه عقوبة .

الرابع : ضد الصلاح ؛ قال : ﴿وَاللهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٠٥] ، وقال تعالى : ﴿إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾ [سورة النمل آية : ٣٤] ، وقال : ﴿لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا﴾ [سورة الأعراف آية : ٥٦ ، ٨٥] .

الخامس : قوله : ﴿إِنَّ اللهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة يونس آية : ٨١] يعني : السحرة ، وقال بعضهم : الفساد في قوله : ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ﴾ [سورة الكهف آية : ٩٤] القتل ، وكذلك في قوله : ﴿أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ﴾ [سورة الأعراف آية : ١٢٧] ولا أعرف صحة ذلك ، وعندنا أن الفساد في هذا الموضع ضد الصلاح والقتل داخل في ذلك .

الفرقان

الفُرْقَان مصدر ، مثل : السكران ، والكفران ، والعدوان ، ثم جعل اسما للقرآن ؛ لأنه يفرق بين الحق والباطل ، وفرقت بين الحق والباطل ، وبين الحسن والقبيح بالتخفيف ، وفرقت بين الشخصين بالتشديد .

وأصل الكلمة البعد ، ومنه قيل : لتباعد ما بين الثنيتين ، وتباعد ما بين الفخذين فرق . ورجل أفرق وامرأة فرقاء ، ومنه الفرقة بين الحيين ، والعرب تقول : أسرع من فريق الخيل يعنون السابق ؛ لأنه يفارق جماعتها ، والفريق من الناس الجماعة لمفارقة لغيرها .

والفرقان في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : النصرة ؛ قال الله : ﴿ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ ﴾[1] [سورة البقرة آية : ٥٣] جاء في التفسير أنه أراد النصرة على أعدائه ، وذلك أنه نصره على أعدائه إذا أبعدهم الله بالإهلاك ، ومثله : ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ ﴾ [سورة الأنفال آية : ٤١] أي : يوم نصرناه ؛ يعني : يوم بدر هكذا جاء في التفسير .

ويحتمل أن يكون معنى الفرقان هاهنا ؛ الفرق بين الحق والباطل ؛ لأن الحق والباطل قد فرق بينهما يوم بدر بأن علا هذا أو سفل ذا ، وقيل : جعله يوم الفرقان ؛ لأنه فرق فيه بين المؤمنين والكافرين ، قال الله : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ ﴾ [سورة الأنفال آية : ٤١] أي : إن كنتم صدقتم بالله وبما أنزلنا على عبدنا يوم بدر من هذا الحكم ، وهو أن حسن الذي تغنمونه هو لله يجعله في الوجه الذي يريد .

والوجه الذي يريد أن يجعله فيه ؛ هو أن يكون للرسول والفقراء من بني هاشم وبني المطلب ، وجعل ذلك لهم بدلا من الصدقات المحرمة عليهم ، والفقراء اليتامى ، والمنقطع به من المسافرين ؛ وهو ابن السبيل ، فجرى الأمر على ذلك حياة رسول الله صلى الله عليه وآله ،

---

(١) قال أبو جعفر : يعني بقوله :(وإذ ءاتينا موسى الكتاب) : واذكروا أيضا إذ آتينا موسى الكتاب والفرقان . ويعني ب"الكتاب" : التوراة ، وب"الفرقان" : الفصل بين الحق والباطل ، كما حدثني المثنى بن إبراهيم قال حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، في قوله :(وإذ ءاتينا موسى الكتاب والفرقان) ، قال : فرق به بين الحق والباطل . [جامع البيان :٢/ ١٧٠] .

ثم اجتمع الخلفاء الأربعة رضي الله عنهم على أن يجعل بينهم الرسول في السلاح والكراع ، ويصرف الباقي إلى من سمي له في الآية ، وقيل : ﴿آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ﴾ أي : الكتاب الذي فيه الفرقان ، وقيل : معناه إنا آتينا موسى الكتاب وهو التوراة ، ومحمدا الفرقان ؛ فاكتفى بذكر الفرقان عن ذكر محمد ؛ لأنه معلوم أن الفرقان نزل عليهم .

وقال بعضهم : الكتاب التوراة ، والفرقان ؛ انفراق البحر ، وقال آخر : الفرقان ؛ بيان الحلال والحرام الذي في التوراة ، وقيل : الفرقان الموضع الذي فرق فيه بين موسى وبين فرعون ، كما سمي يوم بدر الفرقان .

الثاني : البينة في الدين ؛ قال تعالى : ﴿وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ [سورة البقرة آية : ١٨٥] يعني : البينة في الدين وإخراجا من الشبهة والضلالة ، وقال : ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ [سورة الأنفال آية : ٢٩] .

الثالث : القرآن ؛ قال الله تعالى : ﴿الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾ [سورة الفرقان آية : ١] ، وقال : ﴿أَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ [سورة آل عمران آية : ٤] يعني : القرآن .

الفرض[1]

أصل الفرض من التأثير ، ومنه الفرض في العود وهو الحرفية ، وفرضة النهر ترجع إلى ذلك ، وهو في الشريعة بمعنى الإلزام ، وهو قوله : ﴿فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ﴾ [سورة البقرة آية : ١٩٧] أي : ألزم نفسه .

وفرض الله على الناس الفريضة ؛ أي : ألزمهم القيام بها ، والفرق بين الفرض والواجب في اللغة ؛ أن الفرض الذي له تأثير وأصله من الجزء ، وليس للواجب تأثير لأنه من السقوط ، يقال : وجب الحائط ؛ إذا سقط ، وفي القرآن : ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾ [سورة الحج آية : ٣٦] أي : سقطت ، وللفرض في مكانه تأثير ، وليس للواجب في مكانه تأثير .

فمن يجعل الفرض أوكد من الواجب يذهب إلى هذا المعنى ، وقوم يجعلونها سواء لأن قولك أوجبت وفرضت ؛ بمعنى ألزمت ، والفرق بينهما عند بعض الفقهاء بين أيضا ، وذلك أن سجدة التلاوة عنده واجبة وليس بفرض ، وكذلك الوتر ، والفرض أيضا لا يكون من الله ، والواجب يكون منه ومن العبد ، تقول : أوجب السلطان على رعيته كذا ، ولا يقال : فرض .

---

(١) (ف ر ض) : فُرْضَةُ الْقَوْسِ مَوْضِعُ حَزِّهَا لِلْوَتَرِ وَالْجَمْعُ فُرَضٌ وَفِرَاضٌ مِثْلُ بُرْمَةٍ وَبُرَمٍ وَبِرَامٍ وَالْفُرْضَةُ فِي الْخَائِطِ وَنَحْوِهِ كَالْفُرْجَةِ وَجَمْعُهَا فُرَضٌ وَفُرْضَةُ النَّهْرِ الثُّلْمَةُ الَّتِي يَنْحَدِرُ مِنْهَا الْمَاءُ وَتَصْعَدُ مِنْهَا السُّفُنُ وَفَرَضْتُ الْخَشَبَةَ فَرْضًا مِنْ بَابِ ضَرَبَ حَزَزْتُهَا وَفَرَضَ الْقَاضِي النَّفَقَةَ فَرْضًا أَيْضًا قَدَّرَهَا وَحَكَمَ بِهَا وَالْفَرِيضَةُ فَعِيلَةٌ بِمَعْنَى مَفْعُولَةٍ وَالْجَمْعُ فَرَائِضُ قِيلَ اشْتِقَاقُهَا مِنْ الْفَرْضِ الَّذِي هُوَ التَّقْدِيرُ لِأَنَّ الْفَرَائِضَ مُقَدَّرَاتٌ وَقِيلَ مِنْ فَرْضِ الْقَوْسِ وَقَدْ اشْتَهَرَ عَلَى أَلْسِنَةِ النَّاسِ تَعَلَّمُوا الْفَرَائِضَ وَعَلِّمُوهَا النَّاسَ فَإِنَّهَا نِصْفُ الْعِلْمِ بِتَأْنِيثِ الضَّمِيرِ وَإِعَادَتِهِ إلَى الْفَرَائِضِ لِأَنَّهَا جَمْعُ مُؤَنَّثٍ وَنُقِلَ وَعَلِّمُوهُ فَإِنَّهُ نِصْفُ الْعِلْمِ بِالتَّذْكِيرِ بِإِعَادَتِهِ عَلَى مَحْذُوفٍ تَنْبِيهًا عَلَى حَذْفِهِ وَالتَّقْدِيرُ تَعَلَّمُوا عِلْمَ الْفَرَائِضِ وَمِثْلُهُ فِي التَّنْزِيلِ ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ وَالْأَصْلُ كَمْ مِنْ أَهْلِ قَرْيَةٍ فَأَعَادَ الضَّمِيرَ فِي قَوْلِهِ أَهْلَكْنَاهَا عَلَى الْمُضَافِ إلَيْهِ .

وَفِي قَوْلِهِ (﴿هُمْ قَائِلُونَ﴾) عَلَى الْمُضَافِ الْمَحْذُوفِ قِيلَ سَمَّاهُ نِصْفَ الْعِلْمِ بِاعْتِبَارِ قِسْمَةِ الْأَحْكَامِ إلَى مُتَعَلِّقٍ بِالْحَيِّ وَإِلَى مُتَعَلِّقٍ بِالْمَيِّتِ وَقِيلَ تَوَسُّعًا وَالْمُرَادُ الْحَثُّ عَلَيْهِ كَمَا فِي قَوْلِهِ ﴿الْحَجُّ عَرَفَةُ﴾ وَفَرَضَ اللَّهُ الْأَحْكَامَ فَرْضًا أَوْجَبَهَا فَالْفَرْضُ الْمَفْرُوضُ جَمْعُهُ فُرُوضٌ مِثْلُ فَلْسٍ وَفُلُوسٍ وَالْفَرْضُ جِنْسٌ مِنْ التَّمْرِ بِعُمَانَ . [المصباح المنير :الفاء مع الراء] .

فأما قولهم : فرض القاضي عليه فإن معناه ؛ أوجب عليه ما فرض الله لأن القاضي لا يفرض في الحقيقة ، فأما قوله تعالى : ﴿فَمَنْ فَرَضَ فِيهِن الْحَج﴾ [سورة البقرة آية : ١٩٧] فهو بمعنى ألزم ، فوضع حرفا مكان حرف لتقاربهما في المعنى ، وكذلك فرض القاضي .

والفرض في القرآن على خمسة أوجه :

الأول : الإلزام ؛ قال الله : ﴿فَمَنْ فَرَضَ فِيهِن الْحَج﴾ ، وقال : ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ﴾ [سورة الأحزاب آية : ٥٠] يعني : المهور ، وأن لا يتجاوز الرجل تزوج أربع نسوة ، وقيل : الفرض هاهنا الإباحة ؛ أي : أبحنا لهم تزوج أربع نسوة وما ملكت أيمانهم ؛ أي : وإن اتخذوا من الإماء والسرارى ما يريدون ، وقال في آية الصدقات بعد أن عدد أهلها : ﴿فَرِيضَةً مِنَ اللهِ﴾ [سورة النساء آية : ١١ ، التوبة : ٦٠] ، وقيل : للصلاة المكتوبة فريضة ولسهام الميراث فرائض لذلك .

الثاني : بمعنى التبيين ؛ قال الله : ﴿قَدْ فَرَضَ اللهُ لَكُمْ تَحِلةَ أَيْمَانِكُمْ﴾ [سورة التحريم آية : ٢] أي : بين لكم كيف يكفرون عن إيمانكم إذا حلفتم ، ومثله قوله تعالى : ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا﴾ [سورة النور آية : ١] أي : بيناها وفضلناها ، وقيل : معنى : ﴿فَرَضْنَاهَا﴾ التخفيف ؛ إنا أنزلنا العمل بما فرض فيها ، ومن شدد أراد التكثير ؛ أي : فرضنا فيها فروضا .

الثالث : فرض بمعنى أحل ؛ قال الله : ﴿مَا كَانَ عَلَى النبِي مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللهُ لَهُ﴾ [سورة الأحزاب آية : ٣٨] يعني : فيما أحل له ، ويجوز أن يكون معناه أنه أوجب عليك العمل به .

الرابع : بمعنى أنزل ، قال تعالى : ﴿إِن الذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ﴾ [سورة القصص آية : ٨٥] ، أي : أنزل ، ويجوز أن يكون معناه أنه أوجب عليك العمل به

الخامس : الفريضة بعينها وهي الخصلة يلزم فعلها ؛ قال تعالى : ﴿فَرِيضَةً مِنَ اللهِ﴾ [سورة النساء آية : ١١ ، التوبة : ٦٠] والفريضة المهر أيضا في قوله : ﴿لا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلقْتُمُ النسَاءَ مَا لَمْ تَمَسوهُن أَوْ تَفْرِضُوا لَهُن فَرِيضَةً﴾ [سورة البقرة آية : ٢٣٥] الآية .

obeikandi.com

والمراد أن من تزوج امرأة ولم يسم لها مهرا ثم طلقها من غير أن يدخل بها ؛ فالواجب لها عليه أن يمتعها على قدر حاله في الغنى والفقر .

قال الكوفيون : أول المتعة ثلاثة أبواب ؛ إلا أن يكون ذلك أكثر من نصف مهر مثلها ، والتمتيع في هذه الآية التزويد ، وفي غيرها التلذذ ، ومنه نكاح المتعة ، وقال ابن أبي ليلى ، وأبو علي : المتعة ليست بواجبة .

وقوله تعالى : ﴿ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقا عَلَى الْمُتقِينَ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٤١] يدل على خلاف ما قالا ؛ لأنه جعل المتعة في شرط التقوى ، وقال : ﴿ حَقا ﴾ وليس في الإيجاب أوكد من هذا ، وعلى كل واحد أن يكون من المتقين ؛ فإن قيل : إنما خص المتقين بالذكر لأنها غير واجبة ، قلنا : الظاهر يقتضي وجوبها على المتقين ، وإذا وجبت عليهم وجبت على غيرهم ؛ لأن أحدا لا يفرق بين المتقي وغير المتقي في الفروض ، ولا يجوز أن يكون ندبا ؛ لأن الندب لا يختلف فيه المتقي وغيره .

الفاحشة[1]

أصلها المبالغة في القبح ، ومنه قيل : أفحش الرجل ، وفحش في الكلام إذا أقذع ، والاسم الفحش ، وربما جعل الفحشاء الفجور .

والفاحشة في القرآن على أربعة أوجه :

الأول : ما حرم أهل الشرك في الجاهلية ؛ قال : ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا﴾ [سورة الأعراف آية : ٢٨] يعني : سنن الغي التي سنها لهم آباؤهم من البحيرة والسائبة وما يجري مجراها .

الثاني : الزنا ؛ قال : ﴿وَاللاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ﴾ [سورة النساء آية : ١٥] ، وقال : ﴿يَا نِسَاءَ النبِي مَنْ يَأْتِ مِنْكُن بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ [سورة الأحزاب آية : ٣٠] يعني : الزنا ، وقوله : ﴿قُلْ إِنَمَا حَرمَ رَبِيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [سورة الأعراف آية : ٣٣] أراد الزنا ، وذلك أن العرب كانت تحل الزنا باطنا وتحرمه ظاهرا ؛ فأخبر الله أن جميعه حرام ، وقد مر ذلك قبل .

الثالث : إتيان الرجال في أدبارهم ؛ قال : ﴿إِنكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة العنكبوت آية : ٢٨] .

الرابع : على قول بعض أهل التفسير : النشوز ؛ قال الله : ﴿إِلا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾ [سورة النساء آية : ١٩ ، الطلاق : ١] قال : هي النشوز ، وعندنا أنه الزنا وما يجري مجراه من قبح المعاصي ؛ لأنه لا تكاد العرب تسمي بالفاحشة إلا كل ذنب شديد القبح لازم العار ، وليس النشوز مما يجري عليه اسم الفاحشة ، وقيل : خروجها قبل انقضاء العدة

---

(١)(ف ح ش) : (أَفْحَشَ فِي الْكَلَام) جَاءَ بِالْفُحْشِ وَهُوَ السَّيِّئُ مِنْ الْقَوْلِ وَفَحَّشَ مِثْلُهُ (وَمِنْهُ) مَا فِي الْمُنْتَقَى ثُمَّ فَحَشْنَا عَلَيْهِ أَيْ أَوْرَدْنَا عَلَى أَبِي يُوسُفَ مَا فِيهِ غَبْنٌ فَاحِشٌ أَوْ ذَكَرْنَا مَا يَقْبُحُ فِي الْعَادَة كَشَرْيِ مِثْلِ دَار بَنِي حُرَيْثٍ بِدِرْهَم (وَرَجُلٌ فَاحِشٌ وَفَحَّاشٌ) سَيِّئُ الْكَلَام (وَأَمْرٌ فَاحِشٌ) قَبِيحٌ قَالُوا (وَالْفَاحِشَةُ) مَا جَاوَزَ حَدَّهُ فِي الْقُبْحِ وَعَنْ اللَّيْثِ كُلُّ أَمْرٍ لَمْ يَكُنْ مُوَافِقًا لِلْحَقِّ وَقِيلَ فِي قَوْله تَعَالَى ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ﴾ إلَّا أَنْ يَزْنِينَ فَيُخْرَجْنَ لِلْحَدِّ وَعَنْ إبْرَاهِيمَ إلَّا إذَا ارْتَكَبْنَ الْفَاحِشَةَ بِالْخُرُوجِ لِغَيْرِ الْإِذْنِ . [المغرب :الفاء مع الحاء] .

فاحشة ، وقيل : هو أن تتبدى على أهله فيحل لهم إخراجها قبل انقضاء العدة ، وذلك فاحشة منها ، وقيل : أن تزني فتخرج للحد أو فتأتي بمعصية كثيرة لا يحل مقاربها معها فتخرج .

والفاحشة والفحشاء سواء ، والشاهد قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا ﴾ [سورة الأعراف آية : ٢٨] إلى أن قال : ﴿ قُلْ إِنَّ اللهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ﴾ [سورة الأعراف آية : ٢٨] ولا يقال في تذكير الفحشاء : أفحش ، ونحوه ديمة هطلاء ، ولا يقال : ومطر أهطل .

وقيل : الاستثناء في هذه الآية من العضل ؛ أي : من أتت منهن بفاحشة مبينة ، وهو الزنا فلكم حبسها على ما فرض قبل نزول الحد .

وقيل : الاستثناء من الذهاب ببعض ما آتوهن ومن العضل جميعا ، ومعروف أنه لم يصح ظلمهن ؛ بقوله تعالى : ﴿ إِلا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ ﴾ ولكن عنى ما يدخل عليها الزوج من المساءة والأذى بالحق والعدل إذا أرادت الخلع ؛ وهو أن يأخذ منها بعض ما آتاها على الخلع والمباراة ؛ لأن الظلم حينئذ جاء من قبلها ، والعضل هو الحبس والضيق .

الفرار[1]

أصله من الخفة والسرعة ، ومنه قيل : رجل فرفار إذا كان خفيفا كثير الكلام ، والفرفار : شجر يتخذ منه القصاع خفيف الوزن ، والفرير والفرار ولد البقرة الوحشية سمي بذلك لخفته وسرعته ، وفررت الدابة ؛ إذا فتحت فاه لتعرف سنه ؛ لأنك إذا فتحت فاه وقفت على سنه بسرعة من غير تعذر .

والفرار في القرآن على خمسة أوجه :

الأول : التوبة ؛ قال الله : ﴿ فَفِروا إِلَى الله ﴾ [سورة الذاريات آية : ٥٠] أي : توبوا إليه ولا تعدلوا عن سبيله ، وإنما عبر عن هذا المعنى بالفرار ؛ لأن من يفر إلى الإسلام لا يعرج إلى غيره .

الثاني : الهرب ؛ قال الله : ﴿ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ ﴾ [سورة الأحزاب آية : ١٦] .

الثالث : الكراهة ؛ قال : ﴿ قُلْ إِن الْمَوْتَ الذِي تَفِرونَ مِنْهُ فَإِنهُ مُلاقِيكُمْ ﴾ [سورة الجمعة آية : ٨] أي : تكرهونه .

الرابع : ترك التعرج ؛ قال الله : ﴿ يَوْمَ يَفِر الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمهِ وَأَبِيهِ ﴾ [سورة عبس آية : ٣٤ ، ٣٥] أي : لشغله بنفسه لا يعرج على أخيه .

الخامس : التباعد ؛ قال الله : ﴿ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلا فِرَارًا ﴾ [سورة نوح آية : ٦] أي : تباعدا مني ومما أدعوهم إليه .

---

(١) قال الشوكاني : ﴿ فَفِرُّواْ إِلَى الله إِنّى لَكُمْ مّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ أي : قل لهم يا محمد : ففرّوا إلى الله بالتوبة من ذنوبكم عن الكفر والمعاصي ، وجملة : ﴿ إِنّى لَكُمْ مّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ تعليل للأمر بالفرار ، وقيل : معنى ﴿ فَفِرُّواْ إِلَى الله ﴾ اخرجوا من مكة ، وقال الحسين بن الفضل : احترزوا من كل شيء غير الله ، فمن فرّ إلى غيره لم يمتنع منه . وقيل : فرّوا من طاعة الشيطان إلى طاعة الرحمن ، وقيل : فرّوا من الجهل إلى العلم . [فتح القدير :٧/ ٥٠] .

في

موضوعة في العربية الأوعية ، تقول : زيد في البيت ، والمال في الكيس ، وإنما يراد أن البيت قد حواه ، وأن الكيس قد اشتمل عليه ، ثم اتسع القول فيه ، فقيل : فلان ينظر في العلم ؛ فجعلوا العلم بمنزلة متضمن ، كما قيل : دخل عمرو في العلم وفي الصلاة ، وقالوا : في يد فلان الضيعة ؛ وإنما قيل هذا لأن ما أحاط به علمه بمنزلة ما أحاطت به يده .

وهو في القرآن على خمسة أوجه :

الأول : بمعنى مع ؛ قال تعالى : ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [سورة الأعراف آية : ٣٨] ، وقال : ﴿أُولَئِكَ الذِينَ حَق عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ﴾ [سورة الأحقاف آية : ١٨] ، وقال : ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصالِحِينَ﴾ [سورة النمل آية : ١٩] ، وقال : ﴿لَنُدْخِلَنَهُمْ فِي الصالِحِينَ﴾ [سورة العنكبوت آية : ٩] هذا قول بعض المفسرين .

وآخرون يقولون : أن قوله : ﴿فِي أُمَمٍ﴾ أي : في جملة أمم وفي جملة عبادك ، هكذا جميع ما تقدم ، وقوله : ﴿فِي تِسْعِ آيَاتٍ﴾ [سورة النمل آية : ١٢] قال : مع تسع ، وقيل : في من صلة قوله : ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾ [سورة النمل آية : ١٠] : ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ [سورة النمل آية : ١٢] والتأويل : وأظهر هاتين الآيتين في تسع آيات ؛ والمعنى من تسع آيات . وعندنا أن قوله : ﴿فِي أَصْحَابِ الْجَنَةِ﴾ [سورة الأحقاف آية : ١٦] إخبار بأنه يفعل بأهل الجنة هذا الفعل ، وهؤلاء المذكورون في جملتهم ، كما تقول : أحبك وأكرمك في أهل السمع والطاعة ، وكذلك قوله : ﴿فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [سورة فصلت آية : ٢٥ ، الأحقاف : ١٨] .

الثاني : بمعنى على ؛ قال الله : ﴿فِي جُذُوعِ النخْلِ﴾ [سورة طه آية : ٧١] وجاز أن يقع في هاهنا ؛ لأنه يكون في الجذع على جهة الطول ، والجذع مشتمل عليه فقد صار فيه ، وقال الشاعر :

هُمْ صَلَبُوا العَبْدِي فِي جِذْعِ نَخْلَـــةٍ فَلَا عَطَسَتْ شَيْبَانُ إِلَّا بِأَجْدَعَـــا

الثالث : على قول بعض المفسرين بمعنى إلى ؛ قال : ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾ [سورة النساء آية : ٩٧] قال : أراد أرض المدينة ، و : ﴿فِيهَا﴾ بمعنى إليها ، ويجوز أن يكون المعنى فسيروا فيها مهاجرين لمن يريد إذائكم في الدين حتى تصلوا إلى حيث تتمكنون من عبادة ربكم .

الرابع : بمعنى من ؛ وهو في قوله : ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ [سورة النحل آية : ٨٩] أي : من كل أمة ، كذا قيل : وإذا بعثه أشهد عليهم فينبغي أن تكون فيما بينهم ومخالطا لهم ، وإذا كان كذلك فإنه فيهم ؛ أي : في جماعتهم .

الخامس : فينا بمعنى لنا ؛ قال : ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾ [سورة العنكبوت آية : ٦٩] ذكروا أنه أراد عملوا لنا ، وقد تقدم هذا قبل ، ويجوز أن يكون فينا أي : من أجلنا ؛ يريد من أجل ديننا وأوليائنا ، كما تقول : أنا أوالي فيك وأعادي فيك ؛ أي : من أجلك .

الفتح[1]

أصله الكشف والتبيين ، يقال : فتح لي فلان القول في هذا الباب ؛ أي : بين ، والفتوح : الإمطار ؛ لأنها تكشف القحط ، والفتح : الحكم ، والفاتح الحاكم ؛ قال : ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [سورة الأعراف آية : ٨٩] ، وفتح الباب وفتح البلد يكون بحرب وبغير حرب ، وإنما الفتح للظفر بالمكان ؛ فإذا ظفر به فقد فتحه حارب عليه أو لم يحارب .

وهو في القرآن على ثمانية أوجه :

الأول : القضاء ؛ قال الله : ﴿ثُم يَفْتَحُ بَيْنَنَا﴾ [سورة سبأ آية : ٢٦] ، وقال : ﴿افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾ [سورة الأعراف آية : ٨٩] ، وقال : ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لا يَنْفَعُ الذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ﴾ [سورة السجدة آية : ٢٩] أي : يوم القضاء ؛ وهو دعاء لإنزال العذاب بهم لأن ذلك حق ؛ فكأنهم قالوا : أنزل بهم ذلك ليفصل بيننا وبينهم ، والقضاء والحكم إنما هو للفصل ، ويجوز أن يكون المعنى أن اكشف أمرنا حتى ينفتح ويظهر أن الحق معنا .

الثاني : الهداية إلى الإسلام ؛ قال : ﴿إِنا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [سورة الفتح آية : ١] ، وقيل عني : فتح الحد بينه ، والحد بينه بئر فسمي المكان بها ، وقيل : هو فتح مكة وليس ذلك بالوجه ؛ لقوله : ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخرَ﴾ [سورة الفتح آية : ٢] وذلك

---

(١) (ف ت ح) : فَتَحْتُ الْبَابَ فَتْحًا خِلَافُ أَغْلَقْتُهُ وَفَتَحْتُهُ فَانْفَتَحَ فَرَجْتُهُ فَانْفَرَجَ وَبَابٌ مَفْتُوحٌ خِلَافُ الْمَرْدُودِ وَالْمُقْفَلِ وَفَتَحْتُ الْقَنَاةَ فَتْحًا فَجَرْتُهَا لِيَجْرِيَ الْمَاءُ فَيَسْقِي الزَّرْعَ وَفَتَحَ الْحَاكِمُ بَيْنَ النَّاسِ فَتْحًا قَضَى فَهُوَ فَاتِحٌ وَفَتَّاحٌ مُبَالَغَةٌ وَفَتَحَ السُّلْطَانُ الْبِلَادَ غَلَبَ عَلَيْهَا وَتَمَلَّكَهَا قَهْرًا وَفَتَحَ اللهُ عَلَى نَبِيِّهِ نَصَرَهُ وَاسْتَفْتَحْتُ اسْتَنْصَرْتُ وَفَتَحَ الْمَأْمُومُ عَلَى إِمَامِهِ قَرَأَ مَا أُرْتِجَ عَلَى الْإِمَامِ لِيَعْرِفَهُ وَفَاتِحَةُ الْكِتَابِ سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ يُفْتَتَحُ بِهَا الْقِرَاءَةُ فِي الصَّلَاةِ وَافْتَتَحْتُهُ بِكَذَا ابْتَدَأْتُهُ بِهِ وَالْفُتْحَةُ فِي الشَّيْءِ الْفُرْجَةُ وَالْجَمْعُ فُتَحٌ مِثْلُ غُرْفَةٍ وَغُرَفٍ وَبَابٌ فُتُحٌ بِضَمَّتَيْنِ مَفْتُوحٌ وَاسِعٌ وَقَارُورَةٌ فُتُحٌ بِضَمَّتَيْنِ أَيْضًا لَيْسَ لَهَا غِلَافٌ وَلَا صِمَامٌ وَالْمِفْتَاحُ الَّذِي يُفْتَحُ بِهِ الْمِغْلَاقُ وَالْمِفْتَحُ مِثْلُهُ وَكَأَنَّهُ مَقْصُورٌ مِنْهُ وَجَمْعُ الْأَوَّلِ مَفَاتِيحُ وَجَمْعُ الثَّانِي مَفَاتِحُ بِغَيْرِ يَاءٍ وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ﴿مِفْتَاحُهَا الطَّهُورُ﴾ اسْتِعَارَةٌ لَطِيفَةٌ وَذَلِكَ أَنَّ الْحَدَثَ لَمَّا مَنَعَ مِنَ الصَّلَاةِ شَبَّهَهُ بِالْغَلَقِ الْمَانِعِ مِنَ الدُّخُولِ إِلَى الدَّارِ وَنَحْوِهَا وَالطَّهُورُ لَمَّا رَفَعَ الْحَدَثَ الْمَانِعَ وَكَانَ سَبَبَ الْإِقْدَامِ عَلَى الصَّلَاةِ شَبَّهَهُ بِالْمِفْتَاحِ . [المصباح المنير :الفاء مع التاء] .

أنه لا يحسن أن يقول : فتحت لك هذا المكان لأغفر لك ذنبك ، وقيل : أنه فتح له الحجج والإبانة فتحا بينا إن الذي تدعوا إليه الحق ، وقيل : الفتح المبين ؛ الهداية إلى الإسلام ؛ وهذا هو الوجه .

الثالث : التخصيص ؛ قال تعالى : ﴿مَا يَفْتَحِ اللهُ لِلناسِ مِنْ رَحْمَةٍ﴾ [سورة فاطر آية : ٢] يعني : ما يخصهم به من رزق .

الرابع : التخلية ؛ قال الله : ﴿حَتى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ [سورة الأنبياء آية : ٩٦] .

الخامس : البعث ؛ قال الله : ﴿حَتى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سورة المؤمنون آية : ٧٧] أي : بعثنا عليهم عذابا ، ولما ذكر الباب ذكر الفتح ، قال أبو علي رحمه الله : أراد عذاب الآخرة ؛ أي : حتى أدخلناهم جهنم إذا هم مبلسون ؛ أي : آيسون والإبلاس اليأس .

السادس : فتح الباب ؛ قال الله : ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [سورة الزمر آية : ٧٣] والتشديد للتكثير ، يقال : أبواب مفتحة ، ولا يقال : مفتوحة في الأكثر ، وروى لنا أبو أحمد ؛ أنه لما قال الفرزدق :

مَا زِلتُ أُفتحُ أبوابًا وأُغلِقُها

عابه الناس ، وقالوا : يقال في التكثير : فتحت وغلقت ، وغيره من أهل العربية قال : فعلت في التكثير والتقليل ، وفعلت بالتشديد لا يكون إلا في التكثير إلا في أحرف منها كلمته .

السابع : النصر ؛ قال تعالى : ﴿فَعَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ﴾ [سورة المائدة آية : ٥٢] .

الثامن : الظفر بالمكان ؛ قال : ﴿نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ [سورة الصف آية : ١٣] يقول : يفتح لكم ما توجهتم اليد إليه من البلدان وذلك قريب ، وقال : ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ﴾ [سورة النصر آية : ١] قال بعضهم : يعني . فتح مكة وكان فتح مكة سنة ثمان ، ونزلت هذه سنة عشر بعد حجة الوداع ، وقيل : المراد أنه يفتح لك الأمم والبلدان .

فوق[1]

أصله من العلو ، يقال : فاق الشيء غيره ؛ إذا علاه ، وهو فائق .

وله في القرآن ثمانية مواضع :

الأول : بمعنى دون ؛ قال بعض المفسرين : ﴿بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [سورة البقرة آية : ٢٦] قالوا : فما دونها ؛ كأنه قال : فما فوقها في الصغر .

وقال المبرد : ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ أي : فما يتجاوزها ؛ فحق هذا أن ينظر إلى الغاية المطلوبة فيجعل فوق من ناحيتها . فإذا قيل : فلان فوق فلان في اللوم ؛ فمعناه أنه يتجاوزه فيه ، فالمطلوب هاهنا الصغير ؛ وكأنه قال : بعوضة فما يتجاوزها صغرا .

---

(١) (ف و ق) : (فَوْقَ) مِنْ ظُرُوف المَكَان نَقِيض تَحْتَ يُقَالُ زَيْدٌ فَوْقَ السَّطْح وَالْعِمَامَةُ فَوْقَ الرَّأْسِ وَعَلَيْهِ قَوْله تَعَالَى ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾ وَقَدْ أُسْتُعِيرَ بِمَعْنَى الزِّيَادَةِ فَقِيلَ هَذَا فَوْقَ ذَلِكَ أَيْ زَائِدٌ عَلَيْهِ وَالْعَشَرَة فَوْقَ التِّسْعَةِ (وَمِنْهُ) ﴿بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ أَيْ فَمَا زَادَ عَلَيْهَا فِي الصِّغَرِ أَوْ الْكِبَرِ (وَعَلَيْهِ) قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ﴾ وَهِيَ فِي كِلْتَا الْآيَتَيْنِ فِي مَوْضِعِهَا وَلَمْ يَذْكُر أَحَدٌ مِنْ الْمُحَقِّقِينَ أَنَّهَا صِلَةٌ وَمِنْ الْمُشْتَقِّ مِنْهَا (فَاقَ النَّاسَ) إذَا فَضَلَهُمْ (وَهُوَ فَائِقٌ فِي الْعِلْمِ وَالْغِنَى) وَقَسَمَ غَنَائِمَ خَيْبَرَ عَنْ (فُوَاقٍ) أَيْ صَادِرًا عَنْ سُرْعَةٍ يَعْنِي قَسَّمَهَا سَرِيعًا وَتَمَامُ التَّحْقِيق فِي الْمُغْرِبِ . [المغرب :الفاء مع الواو] .

وعند ابن فارس (ف و ق) : الفاء والواو والقاف أصلانِ صحيحان، يدلُّ أحدُهما على عُلُوٍّ، والآخرُ على أوْبة ورُجوع.

فالأوّل الفَوْق، وهو العُلُوّ. ويقال: فلانٌ فاقَ أصحابَه يفوقُهم، إذا علاهم وأمرٌ فائق، أي مرتفع عالٍ.

وأمّا الآخر فَفُوَاق النَّاقَة، وهو رُجوع اللَّبنِ في ضَرعها بعد الحَلب. تقول: ما أقامَ عندَه إلاّ فُوَاقَ ناقة. واسم المجتمِع من الدِّرّ: فيقة، والأصل فيه الواو. قال الأعشى:

حتّى إذا فِيقةٌ في ضَرْعِها اجتمَعتْ *** جاءت لتُرضِع شِقّ النفس لو رَضَعا

وفي بعض الحديث في ذكر القرآن: "أَتَفَوَّقُهُ تَفَوُّقَ اللَّقوح " معناه لا أقرأ جزئي مرّةً واحدة لكن شيئاً بعد شيء. شبَّهَه بفُواق الدِّرَّة. يقال فُوَاق وفَواق قال الله تعالى: ﴿ما لَهَا مِنْ فَوَاق﴾ [ص ١٥]، أي ما لها من رُجوعٍ ولا مَثْنَوِيّة ولا ارتداد. وقال غيرُه: ما لها من نَظِرة. والمعنيان قريبان. ويقولون: أفاقَ السَّكرانُ يُفيق، وذلك من أوبةِ عقلِه إليه. والأفاويق: ما اجتَمَعَ من الماء في السَّحاب.

ومن الباب الفُوق: فُوق السَّهم، وسمِّي لأنَّ الوترَ يُجعَل كأنَّه قد رُدَّ فيه، والجمع أفواق. ويقولون: فُقَيّ، وهو مقلوبٌ. ويقال سهمٌ أفْوَق ، إذا انكسر فُوقه.

وممَّا شذَّ عن هذين الأصلين قولهم: هو يَفُوق بنفسه. وهذا من باب الإبدال وإنما أصلُه يسوق، والفاء بدلٌ من السين، وذلك إذا جادَ بنفْسه.

وقال قطرب : بل معناه أكبر منها ؛ وهو الذباب وما يجري مجراه ، ولا يقال : هذا حمار وفوق الحمار ، أو نملة فوق النملة ؛ بمعنى أصغر من ذلك ، وإنما يكون ذلك في الصفات ، يقال : هذا صغير وفوق الصغير .

ورد آخرون ذلك ، وقالوا : قد يقال : هو حمار وفوق الحمار ، كما يقال : هو صغير وفوق الصغير ليس بين الصفة والاسم في هذا فرق .

الثاني : بمعنى أفضل ؛ قال تعالى : ﴿يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [سورة الفتح آية : ١٠] والمعنى ما يفعل الله بهم من الخير ويعطيهم من الثواب أفضل مما بذلوه من البيعة يوم الحديبية .

وقيل : يد الله في الوفاء فوق أيديهم ، وقيل : يد الله في المنة عليهم حين هداهم فوق أيديهم ، وتلخيص هذا أن نعمة الله عليهم فيما هداهم له من الإيمان فوق إجابتهم الرسول وطاعتهم له واليد النعمة .

وقال الضحاك : يد الله عليكم في الثواب فوق أيديكم في النصر .

الثالث : بمعنى أكثر ؛ قال الله : ﴿فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ﴾ [سورة النساء آية : ١١] .

الرابع : أرفع في المنزلة ؛ قال الله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [سورة البقرة آية : ٢١٢] ، وهكذا قوله : ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [سورة آل عمران آية : ٥٥] أي : هم أرفع منزلة .

الخامس : بمعنى على ؛ قال : ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ [سورة الأنعام آية : ١٦٥] أي : رفع الأغنياء على الفقراء في اليسار ، ثم قال : ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [سورة الزخرف آية : ٣٢] فأخبر أنه فعل ذلك لتطرد أمور الدنيا والخير بعد ذلك ، والخيرة فيما عنده .

السادس : قوله تعالى : ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ﴾ [سورة الأحزاب آية : ١٠] أي : من أعلى الوادي ، وذلك من علو بعض الأرض على بعض من غير أن يكون له سمك ظاهر .

السابع : العلو في السمك ؛ مثل قوله : ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا﴾ [سورة فصلت آية : ١٠] أي : حتى يعلو فوقها ، وقال : ﴿اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا﴾ [سورة إبراهيم آية : ٢٦] أي : من وجهها .

الثامن : الغلبة والسلطان ؛ : ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [سورة الأنعام آية : ١٨ ، ٦١] يريد أنه القاهر لهم لاشتمال ملكه عليهم وفوقهم ؛ أي : غالب لهم ، ولا يجوز أن يقال : فوقهم في المسافة ؛ لأنه ليس بجسم ، ولأنه لا مدح له في ذلك ؛ لأن اختلاف الأمكنة لا يوجب قضاه ، وقوله : ﴿وَإِنا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ [سورة الأعراف آية : ١٢٧] والعرب تقول : أخذت الأمر من فوق ؛ أي : أخذته بغلبة وقهر ، ومنه قول الراجز :

إن الحبانَ حنَفَه مِن فَوقِه

أي هو غالب له لا يدفعه عنه توقية .

obeikandl.com

الفتنة(١)

أصل الفتنة شدة الاختبار من قولك : فتنت الذهب ؛ إذا أدخلته النار لتعلم جودته من ردائته ، وفي القرآن : ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [سورة العنكبوت آية : ٣] أي : اختبرناهم ، ومعنى الاختبار من الله ؛ التكليف على ما بينا .

وقال لموسى عليه السلام : ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ [سورة طه آية : ٤٠] أي : واستعمال الإخبار في الله تعالى مجاز ؛ لأن أصل الاختبار طلب العلم والله عالم بنفسه ، والبحر يصطفي الاختبار ، ولا يستعمل في الله قياسا على الاختبار ؛ لأن استعمال الاختبار فيه مجاز .

والمجاز لا يقاس . . . قال : ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ [سورة يوسف آية : ٨٢] أي : أهلها ، ولا يجوز أن يقال : سل الحمار ؛ أي : صاحبه ، وقال : ﴿ثُم لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ﴾ [سورة الأنعام آية : ٢٣] ، ويقال : فتنت الرجل ، ولا يقال : أفتنت .

وهي في القرآن على ثمانية أوجه :

الأول : التكليف ؛ قال : ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [سورة العنكبوت آية : ٣] أي : أحسنوا أن يقع منهم بأن يقولوا : آمنا ولا تكلفون أو تمتحنون بما ظهر معه إيمانهم للرسول ، وصدقهم فيه من كذبهم ، فيركن إلى من يركن إليه منهم على بصيرة .

الثاني : العذاب ؛ قال الله : ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النارِ يُفْتَنُونَ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾ [سورة الذاريات آية : ١٣ ، ١٤] أي : عذابكم ، ويجوز أن يكون المعنى ذوقوا جزاء فتنتكم فحذف الجزاء ، كما قال : ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ [سورة يوسف آية :٨٢] .

وقيل : يفتنون يحرقون ومنه ، قيل : للحجارة السود التي كأنها قد أحرقت الصبر ومثله قوله : ﴿جَعَلَ فِتْنَةَ الناسِ كَعَذَابِ اللهِ﴾ [سورة العنكبوت آية :١٠] ، أي : عذاب الناس

(١) (ف ت ن) : فَتَنَ الْمَالُ النَّاسَ مِنْ بَابِ ضَرَبَ فُتُونًا اسْتَمَالَهُمْ وَفُتِنَ فِي دِينِهِ وَافْتُتِنَ أَيْضًا بِالْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ مَالَ عَنْهُ وَالْفِتْنَةُ الْمِحْنَةُ وَالِابْتِلَاءُ وَالْجَمْعُ فِتَنٌ وَأَصْلُ الْفِتْنَةِ مِنْ قَوْلِكَ فَتَنْتُ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ إذَا أَحْرَقْتَهُ بِالنَّارِ لِيَبِينَ الْجَيِّدُ مِنْ الرَّدِيءِ . [المصباح المنير :الفاء مع التاء] .

بعذاب الله . والمراد أنه إذا أصابه أذى من الناس لسبب إيمانه جزع منه ، كما يجزع من عذاب الله ، يحث على الصبر عند مس الأذى .

الثالث : الضلال ، قال الله : ﴿مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ﴾[سورة فاطر آية :١٦٢] ، أي : لستم تضلون إلا من هو ضال ، أي : ليس يتبعكم على عبادة الأوثان إلا من هو مثلكم في الضلال .

والهاء في عليه راجعة إلى ما الذي ، في قوله : ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾[سورة فاطر آية :١٦١] ، وهو مثل قولك : ما هلك فلان إلا على يد فلان .

الرابع : الصد والاستزلال ، قال الله : ﴿وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكَ﴾[سورة المائدة آية : ٤٩] ، وقال : ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾[سورة الإسراء آية : ٧٣] .

الخامس : الكفر والشرك ، قال الله : ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَد مِنَ الْقَتْلِ﴾[سورة البقرة آية :١٩١] .

السادس : الإثم ، قال الله : ﴿أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾[سورة التوبة آية :٤٩] ، قال : ﴿وَلَكِنكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾[سورة الحديد آية : ١٤] أي : أثمتم .

السابع : العبرة ، قال تعالى : ﴿رَبنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلذِينَ كَفَرُوا﴾[سورة الممتحنة آية : ٥] ، أي : يعتبرون أمرهم بأمرنا فإذا رافها في ضر وبلاء ورأوا أنفسهم في غبطة ورخاء ؛ ظنوا أنهم على الحق وأننا على الباطل .

الثامن : الجواب ، قال : ﴿ثُم لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلا أَنْ قَالُوا وَاللهِ﴾[سورة الأنعام آية : ٢٣] ، أي : جوابهم ؛ لأنهم حين سئلوا اختبر ما عندهم بالسؤال ؛ فلم يكن الجواب عن ذلك الاختبار إلا هذا القول ونتكلم في قوله : ﴿انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾[سورة الأنعام آية : ٢٤] ، فيما بعد إن شاء الله .

ومثل قوله : ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَشَد مِنَ الْقَتْلِ ﴾[سورة البقرة آية :١٩١] ، قوله : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾[سورة البقرة آية : ١٩٣] ، أي : قاتلوهم حتى يؤمنوا فيذهب الكفر والشرك ، ويكون الدين كله لله دون الشيطان ، وأراد المشركين خاصة أي : قاتلوهم على كل حال في الحزم وغيره ، حتى يقروا بالإسلام ولا تقبل من المشرك جزية .

وإنما هو الإسلام والسيف وإما تبقيه أهل الكتاب وأخذ الجزية منهم ؛ فليتدبروا كتابهم الدال على صحة الإسلام ؛ فيسلموا وليس ذلك مع عبدة الأوثان ؛ فلا يزدادون على الإمهال إلا شركا .

وهذه الآية ناسخة لما قبلها من قوله : ﴿ وَلا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ ﴾[سورة البقرة آية : ١٩١] .

الفرح[1]

انفتاح القلب بما يلتذ ، وقيل : هو لذة في القلب أعظم من ملاذ الحواس ، ورجل فَرِح إذا جعلته كالنسبة ، وفارح إذا بليته على القلب وفرحان ، وامرأة فرحانة ، وأفرحني الشيء ميزني ، وأفرحني إذا فرحني ، وهو من الأضداد ، وفي الحديث " لا يُتْرَكُ مُفْرِحٌ فِي الإِسْلامِ"[2] ، فسروه المثقل بالتبن ، وقيل : مفرج بالجيم أيضا .

والفرح في القرآن ثلاثة أوجه :

الأول : البطر ، قال الله : ﴿لا تَفْرَحْ إِن اللهَ لا يُحِب الْفَرِحِينَ﴾[سورة القصص آية : ٧٦] ، ومثله : ﴿إِنهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾[سورة هود آية : ١٠] ، ونظيره : ﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الأَرْضِ﴾ [سورة غافر آية :٧٥] ، أي : تبطرون ، ولم يرد الفرح المباح مثل الفرح بالولد ، وسعة الرزق ، والزوجة الحسناء ، ونظائر هذا .

الثاني : الرضى ، قال الله : ﴿وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدنْيَا﴾ [سورة الرعد آية : ٢٦] ، أي : رضوا بها ، ومثله : ﴿كُل حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [سورة المؤمنون آية : ٥٣] ، أي : راضون ، وقال : ﴿فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ [سورة غافر آية : ٨٣] ، أي : رضوا كذا .

قال بعض المفسرين ، ويجوز عندنا أن يكون أراد الفرح المعروف ، بل هو الصحيح ، ولا يجوز أن يعدل عما يقتضيه الظاهر إلا لضرورة .

---

(١) (ف ر ح) : فَرِحَ فَرَحًا فَهُوَ فَرِحٌ وَفَرْحَانُ وَيُسْتَعْمَلُ فِي مَعَانٍ أَحَدُهَا الْأَشَرُ وَالْبَطَرُ وَعَلَيْهِ قَوْله تَعَالَى ﴿إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ وَالثَّانِي الرِّضَا وَعَلَيْهِ قَوْله تَعَالَى ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ وَالثَّالِثُ السُّرُورُ وَعَلَيْهِ قَوْله تَعَالَى ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمْ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ وَيُقَالُ فَرِحَ بِشَجَاعَتِهِ وَنِعْمَةِ اللهِ عَلَيْهِ وَبِمُصِيبَةِ عَدُوِّهِ فَهَذَا الْفَرَحُ لَذَّةُ الْقَلْبِ بِنَيْلِ مَا يَشْتَهِي وَيَتَعَدَّى بِالْهَمْزَةِ وَالتَّضْعِيفِ . [المصباح المنير :الفاء مع الراء] .

(٢) أخرجه ابن سعد مرسلا في الطبقات الكبرى من حديث عامر الشعبي ج١/ ٢٣٨ ، وأخرجه ابن حجر في المطالب العالية (١٤٤٢) ، والبوصيري في إتحاف الخيرة (٣٩٤٦) .

فقوله : ﴿فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾[سورة غافر آية : ٨٣] ، أي : لما جاءتهم الرسل لم تنظروا في أمرهم حق النظر ؛ فخفى عليهم الحق الذي جاءوا به ، فاستحقروه واستحسنوا ما كانوا فيه من الباطل ، وفرحوا به وسمي ما كانوا يعتقدونه من الجهل علما ؛ لأنه كان علما عند أنفسهم .

الثالث : الفرح بعينه ، قال الله : ﴿وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ [سورة يونس آية : ٢٢] .

obeikandl.com

الفضل[1]

أصله من الزيادة ، وفضلة الشيء بقيته ؛ لأنها زادت على الكفاية ، وقيل : الفضائل ؛ لأنها زيادة في محاسن الإنسان والمفضل الثوب الذي تلبسه المرأة في بيتها ؛ لأنه زيادة على جملة ثيابها .

وهو في القرآن على ثمانية أوجه :

الأول : الإسلام ، قال الله : ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ [سورة يونس آية : ٥٨] ، وإنما سمي الإسلام فضلا ورحمة ؛ لأنه يؤدي إلى الفضل والرحمة .

الثاني : النبوة ، قال تعالى : ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [سورة النساء آية : ١١٣] ، ومثله أن فضله كان عليك كبير ، أو يجوز أن يكون أراد فضله عليه في النبوة ، أي : نعمته فيها عظيمة .

الثالث : الثواب ، قال : ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ﴾[سورة آل عمران آية :١٧١] ، وقوله : ﴿فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ﴾[سورة النساء آية : ١٧٥] ، ويجوز أن يكون الفضل في هاتين الآيتين التفضل .

الرابع: الرزق ، قال الله : ﴿فَانْتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ﴾[سورة الجمعة آية : ١٠] ، وقال : ﴿يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾[سورة المزمل آية : ٢٠] ، فوضع التاجر مع المجاهدين دالا على فضل التجارة .

---

(١) (ف ض ل) : (الْفَضْلُ) الزِّيَادَة وَقَدْ غَلَبَ جَمْعُهُ عَلَى مَا لَا خَيْرَ فِيهِ حَتَّى قِيلَ فُضُولٌ بِلَا فَضْلٍ وَسِنٌّ بِلَا سِنٍّ وَطُولٌ بِلَا طَوْلٍ وَعَرْضٌ بِلَا عِرْضٍ ثُمَّ قِيلَ لِمَنْ يَشْتَغِلُ بِمَا لَا يَعْنِيهِ (فُضُولِيٌّ) وَهُوَ فِي اصْطِلَاحِ الْفُقَهَاءِ مِنْ لَيْسَ بِوَكِيلٍ وَفَتْحُ الْفَاءِ فِيهِ خَطَأٌ (وَقَوْلُ عَبْدِ اللهِ الْأَنْصَارِيِّ) فِيمَنْ يُجْعَلُ أَقَلَّ مِمَّا اجْتَعَلَ إذَا لَمْ يَكُنْ أَرَادَ الْفَضْلَ فَلَا بَأْسَ بِهِ يَعْنِي إذَا لَمْ يَقْصِدْ بِمَا فَضَلَ مِنْهُ وَزَادَ أَنْ يَحْبِسَهُ لِنَفْسِهِ وَيَصْرِفَهُ إلَى حَوَائِجِهِ وَيُقَالُ ثَوْبٌ فُضُلٌ وَامْرَأَةٌ فُضُلٌ أَيْ عَلَى ثَوْبٍ وَاحِدٍ مِلْحَفَةٍ وَنَحْوِهَا تَتَوَشَّحُ بِهِ (وَمِنْهُ) حَدِيثُ سَهْلَةَ فَبَرَانِي فُضُلًا وَأَمَّا حَدِيثُ عَائِشَةَ فِي أَفْلَحُ وَأَنَا فِي ثِيَابِ فُضُلٍ فَفِيهِ نَظَرٌ وَالْفُضُولُ فِي (رَبَّ) . [المغرب :الفاء مع الضاد] .

الخامس : الغنيمة ، قال الله : ﴿وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللهِ﴾[سورة النساء آية : ٧٣] ، ومثله كثير .

السادس : الخلف ، قال تعالى : ﴿وَاللهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلا﴾[سورة البقرة آية : ٢٦٨] ، أي : مغفرة عند الصلاة ، والفضل الخلف مما أخرج في الصدقة .

السابع : اللطف ، قال تعالى : ﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾[سورة النور آية :٢١] ، أي : لولا لطفه وتوفيقه لم تكونوا أزكياء .

والخطاب للمؤمنين وإذا فعل الإنسان ما يرضى به عنه سمي زاكيا وزكيا ، ومن ثم يقال للزرع إذا بلغ المبلغ الذي يريده الزارع ؛ أنه قد زكا ، : ﴿اللهُ يُزَكِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [سورة النساء آية :٤٩] ، أي : يفعل من يشاء من المكلفين ما يصير به مطيعا ؛ إذا كان في معلومه أنه يقبل ويصلح .

ويجوز أن يكون المراد أنه يخبر بصلاح من يشاء ، وفضله حتى يكون زكيا عند الخلق إذا كان كذلك .

الثامن : الجنة ، قال : ﴿وَبَشِرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَن لَهُمْ مِنَ اللهِ فَضْلا كَبِيرًا﴾[سورة الأحزاب آية : ٤٧] ، وقد خرج لنا وجه آخر وهو ، قوله : ﴿وَلا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى﴾[سورة النور آية : ٢٢] ، يعني : بالفضل الغنى ، أي : لا يحلف أحد منكم على منع ذوي القربى واليتامى والمساكين بره ؛ إذا كان له غنى وسعة ، والواسع الغني .

والآية نزلت في أبي بكر رضي الله عنه ، وذلك أنه لما خاض يشطح مع أهل الأنكت في قذف عائشة رحمها الله حلف أبو بكر أن يمنعه بره وفضله ، وكان في عيال أبي بكر فنهاه الله عن ذلك فانتهى ، وعاد للإفضال عليه والبر له ، ويقال : الله واسع بمعنى أنه غني ، وللعبد موسع وقد أوسع مثل أيسر .

وقال أبو مسلم : ﴿وَلا يَأْتَلِ﴾ أي : لا تقصر عن إيتاء ذوي القربى وإلى الرجل بالواو واتلي ما تلي إذا قصر ، قال أبو مسلم : ولا تجيء يأتلي في اليمن ، إنما يقال فيها إلى يولي ، والأول قول جميع المفسرين .

obeikandl.com

opeikandl.com

الباب الحادي والعشرون

فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله قاف

قانتون[1]

القنوت : على وجوه أحدها الطاعة والآخر القيام في الصلاة ، وقيل يا رسول الله صلى الله عليه : أي : الصلاة أفضل ؟ قال : "طول القنوت "[2] ، أي : طول القيام ، وهو الدعاء وهو الطلب أيضا ، قال زيد ابن أرقم : كنا نتكلم في الصلاة حتى نزلت : ﴿وَقُومُوا لله قَانِتِينَ﴾[سورة البقرة آية : ٢٣٨] فأمسكنا .

وهي في القرآن على أربعة أوجه :

الأول : السكوت ، وهو قوله تعالى : ﴿وَقُومُوا لله قَانِتِينَ﴾[سورة البقرة آية : ٢٣٨] ، وقيل : يعني : مطيعين والأول قول مجاهد ، وقال غيره : أي : دائمين على الطاعة والقنوت الدائم على الشيء ، وقال ابن عباس ، والحسن ، وعامر : هو للطلب ، وقال ابن عمر : طول القيام ، وقيل : هو الدعاء من قيام ، والداعي إذا كان قائما قانتا ، ويجوز أن يقع في جميع الطاعات لأنها لم تكن قياما على الرجلين فإنها قيام بالشيء نية وعملا ، والقنوت في كثير من آيات القرآن يدل على أنه إتمام الطاعة والصبر عليها ، قال الله : ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾[سورة الزمر آية : ٩] ، وقال : ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُن لله وَرَسُولِهِ﴾[سورة الأحزاب آية : ٣١] ، قال : ﴿فَالصالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللهُ﴾[سورة النساء آية : ٣٤] يريد صبرهن على أزواجهن وقيامهن بطاعة الله .

---

(١) (ق ن ت) : الْقُنُوتُ مَصْدَرٌ مِنْ بَابِ قَعَدَ الدُّعَاءُ وَيُطْلَقُ عَلَى الْقِيَامِ فِي الصَّلَاةِ وَمِنْهُ قَوْلُهُ ﴿أَفْضَلُ الصَّلَاةِ طُولُ الْقُنُوتِ﴾ وَدُعَاءُ الْقُنُوتِ أَيْ دُعَاءُ الْقِيَامِ وَيُسَمَّى السُّكُوتُ فِي الصَّلَاةِ قُنُوتًا وَمِنْهُ قَوْله تَعَالَى ﴿وَقُومُوا للهِ قَانِتِينَ﴾ . [المصباح المنير :القاف مع النون] .

(٢) أخرجه مسلم من حديث جابر بن عبد الله (٧٥٧) ، والترمذي (٣٨٧) ، وابن ماجه (١٤٢١) ، وأحمد في مسنده (١٣٨٢١) ، وابن خزيمة في صحيحه (١٠٩١) .

الثاني : الأقرار ، قال الله : ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُل لَهُ قَانِتُونَ﴾[سورة البقرة آية : ١٦١] ، أي : مقرون بالعبودية كذا قيل ، ويجوز أن يكون بمعنى دوام الطاعة ، والمراد أن جميع ما في السماوات والأرض يشهد بربوبيته ، فكأنه يديم طاعته ، وفسر أيضا قوله : ﴿وَقُومُوا لله قَانِتِينَ﴾[سورة البقرة آية : ٢٣٨] ، على أنه أراد مقرين .

الثالث : الصلاة ، قال الله : ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾[سورة الزمر آية : ٩] ، وروى عنه صلى الله عليه أنه قال : "مثل المجاهد مثل القانت الصائم "[1] ، أي : المصلي الصائم كذا قيل ، ويجوز أن يكون على الوجه الذي تقدم .

الرابع : الطاعة ، قال الله : ﴿وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ﴾[سورة الأحزاب آية : ٣٥] ، ومثله : ﴿إِن إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا﴾ [سورة النحل آية : ١٢٠] ، أي : مطيعا كذا جاء في التفسير ، وهو وجه .

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة ، أخرجه البخاري (٢٧٨٧) ومسلم (١٨٨١) ، والترمذي (١٦١٩) ، والنسائي (٣١٢٤) وأحمد في مسنده (٩١٩٧) ، ومالك في الموطأ برواية يحيى الليثي (٩٧٣) .

القوة[1]

أصلها التعاون ، ومنه قوي الحبل ، لأن كل واحدة منها تعين الأخرى ، وكل طاقة من الحبل قوة ، واستعمالها في صفات الله بمعنى أن أحدا لا يغلبه ، وليس معناه التعاون كما أن أصل التوبة في اللغة الرجوع ، تاب يتوب إذا رجع وكذلك تائبون ، وقولنا : ﴿اللهُ تَوَّابَ﴾[سورة النور آية : ١٠ ، الحجرات : ١٢] ، ليس يعني : به الرجوع .

والقوة في القرآن على خمسة أوجه :

الأول : العدة ، قال : ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾[سورة هود آية : ٥٢] ، أي : عدة إلى عدتكم ، وذلك أن العدة تعبر على مغالبة العدو ، وقال : ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾[سورة الكهف آية : ٩٥] ، أي : بعدد من الرجال ، والمراد أن فيما أعطاني الله من المال كفاية في بناء هذا السد ، ولكن ينبغي أن تعينوني بأنفسكم ليتعجل العمل ويقع الفراغ منه بسرعة ، والخير في هذه الآية الكفاية ، والناس يقولون : فلان بخير في كفاية ، وقيل : خير أي : خير لكم من خرجكم .

الثاني : الجد ، قال الله : ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾[سورة البقرة آية : ٦٢] ، أي بجد ، ومثله : ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾[سورة مريم آية : ١٢] ، أي : بجد ، وقيل معناه أي : ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ﴾[سورة البقرة آية : ٦٣ ، ٩٣ ، الأعراف : ١٧١] ، من المقدرة وفي هذا دليل على أن القدرة على الأخذ معهم أخذوا أم لم يأخذوا .

الثالث : البطش ، قال الله : ﴿وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾[سورة فصلت آية : ١٥] ، يعني : البطش ، والبطش الأخذ بالشدة والغلبة ، ويجوز أن يكون بمعنى القدرة ، أي : من أقدر منا على الامتناع مما يراد بنا ، ويجوز أن تكون القوة هنا العدة أيضا .

---

(١) (ق و ي) : قَوِيَ يَقْوَى فَهُوَ قَوِيٌّ وَالْجَمْعُ أَقْوِيَاءُ وَالِاسْمُ الْقُوَّةُ وَالْجَمْعُ الْقُوَى مِثْلُ غُرْفَةٍ وَغُرَفٍ وَقَوِيٌّ عَلَى الْأَمْرِ وَلَيْسَ لَهُ بِهِ قُوَّةٌ أَيْ طَاقَةٌ وَالْقَوَاءُ بِالْفَتْحِ وَالْمَدِّ الْقَفْرُ وَأَقْوَى صَارَ بِالْقَوَاءِ وَأَقْوَتْ الدَّارُ خَلَتْ . [المصباح المنير :القاف مع الواو] .

الرابع : السلاح وهو راجع إلى معنى العدة ، قال الله : ﴿وَأَعِدوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوةٍ﴾[سورة الأنفال آية : ٦٠] ، أي : من سلاح ، والدليل على هذا ما يتلوه من ذكر الخيل ، وذلك أن الخيل يذكر مع السلاح ، وليس يجوز أن يقال أن المراد بها القدرة ؛ لأنهم لا يقدرون على فعل القدرة لأنفسهم .

الخامس : الشدة ، قال الله : ﴿لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوةِ﴾[سورة القصص آية : ٧٦] ، وتنوء بالعصبة ، أي : تغلبهم ولو ناءوا بها لكانوا قد حملوها ولكن هي نأت بهم ، أي : ارتفعت بهم فلم يطيقوها .

obeikandl.com

القضاء[1]

الحتم ، ومنه أصله ، قيل القاضي لأنه يحتم على الناس الأمور ، ثم قيل : لكل شيء الحتمة ، وفرغت منه قد قضيته ، قال أبو ذؤيب :

وَعَلَيْهِمَا مَسْرُودَتَانِ قَضَاهُمَا ... دَاود أَوْ صَنَعَ السَّوَابِغَ تُبَّعُ

وذلك أن من عمل عملا وفرغ منه فقد حتمه وقطعه ، والقضاء تأدية الفرض ، ومنه قضاء الدين ، وحد القضاء في اللغة فصل الأمر وإبرامه وبلوغ آخره على التمام والإحكام ، ومنه قوله للموت : قضاء الله لأنه آخر أمر الدنيا ، ومنه قوله : ﴿يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾[سورة الحاقة آية : ٢٧] ، ومنه التقضي والانقضاء .

وهو في القرآن على اثنى عشر وجها :

الأول : الأمر ، قال الله : ﴿وَقَضَى رَبكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَاهُ﴾[سورة الإسراء آية : ٢٢] ، أي : أمر أن نعبد الله وحده ، وفي هذا بطلان قول من يقول : أنه قضى أن نعبد الشيطان ، وقيل : فرض ، وهو قريب من الأول ، ولا يقال قضاء إلا فيما كان لازما من الفروض ؛ فأما النوافل فلا يقال فيها القضاء .

الثاني : بمعنى العلم ، قال الله : ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِي إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الأَمْرَ﴾ [سورة القصص آية : ٤٤] ، أي : أعلمناه ، وإذا قلت : قضيت إليك ، فهو بمعنى العلم ، وقضيت عليك بمعنى الحكم ، ومثله : ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ﴾ [سورة الحجر آية : ٦٦] ، ثم فسر ما الأمر ، وقال : ﴿أَن دَابِرَ هَؤُلاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾[سورة الحجر آية : ٦٦] ، كأنه قال : وقضينا إليه أن دابر هؤلاء مقطوع ، ومثله : ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بني إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُن فِي الأَرْضِ مَرتَيْنِ﴾ [سورة الإسراء آية : ٤] ، أي : أعلمناهم ذلك ، ويجوز

---

(١) (ق ض ي) : (قَضَى) الْقَاضِي لَهُ عَلَيْهِ بِذَلِكَ قَضَاءً وَقَاضَيْتُهُ حَاكَمْتُهُ (وَفِي حَدِيثِ) الْحُدَيْبِيَةِ وَقَاضَاهُمْ عَلَى أَنْ يَعُودَ أَيْ صَالَحَهُمْ (وَقَاضِي) الْحَرَمَيْنِ هُوَ أَبُو الْحُسَيْنِ تِلْمِيذُ الْكَرْخِيِّ وَأَبِي طَاهِرٍ الدَّبَّاسِ هَكَذَا فِي كِتَابِ الْفُقَهَاءِ وَاسْمُ الْقَاضِي فِي الْخُنَى عَامِرُ بن الظَّرِبِ الْعَدْوَانِيُّ وَقِصَّتُهُ مُسْتَقْصَاةٌ فِي الْمُغْرِبِ (وَقَضَيْتُ) دَيْنَهُ وَتَقَاضَيْتُهُ دَيْنِي وَبِدَيْنِي وَاسْتَقْضَيْتُهُ طَلَبْتُ قَضَاءَهُ وَاقْتَضَيْتُ مِنْهُ حَقِّي أَخَذْتُهُ . [المغرب :القاف مع الضاد] .

أن يكون القضاء في هذه الآيات بمعنى الوحي ؛ فقوله : ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بني إِسْرَائِيلَ ﴾[سورة الإسراء آية : ٤] ، أي : أوحينا إلى أنبيائهم .

الثالث : الإتمام والفراغ ، قال الله : ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٠٠] ، أي : أتممتموها وفرغتم منها ؛ : ﴿ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٠٠] ، أي : لا تقطعوا ذكره لفراغكم من متعبداتكم ، وكانت العرب إذا أرادت الصدر عن الحج وقفت بين المسجد والجبل بمنى فذكرت محاسن آباءها ومناقبهم ، فأمر الله أن يذكروه ويثنوا عليه كذكرهم آباءهم ، ثم قال : ﴿أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [سورة البقرة آية : ٢٠٠] ، وأراد بل أشد ذكرا ، لأن نعم الله عليهم أكثر من نعم غيرهم ، ووقوع أو موقع بل معروف ، ومنه قوله : ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾[سورة الصافات آية : ١٤٧] ، أي : بل يزيدون .

وقال بعضهم : أو يزيدون عندكم ، ومثله : ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصلاةَ﴾ [سورة النساء آية : ١٠٣] ، ونظيره : ﴿ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴾ [سورة الأحقاف آية : ٢٩] ، أي : فلما فرغ النبي صلى الله عليه من قراءة القرآن .

الرابع : بمعنى الفعل ، قال الله : ﴿ فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ ﴾[سورة طه آية : ٧٢] ، أي : افعل ما أنت فاعل ، : ﴿ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدنْيَا ﴾[سورة طه آية : ٧٢] ، والحياة نصب على الظرف ، ويجوز أن يكون القضاء هنا الحكم أي : احكم فينا بما أنت حاكم ، وقال : ﴿ لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولا ﴾ [سورة الأنفال آية : ٤٢] .

الخامس : بمعنى الإرادة ، قال الله : ﴿ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾[سورة غافر آية : ٦٨] ، أي : إذا أراد أمرا فإنما يقول له كن فيكون ، أي : إذا أراد أمرا لم يتعذر عليه فعله ، وليس هناك قول ، وإنما هو عبارة عن إيجاده الفعل من غير تعذر إذا لم يحتمل الكلام على هذا المعنى فسد ؛ لأنه لا يجوز أن يخاطب المعدوم ، ولا يجوز أن تقول للموجود كن ؛ لأنه كان ، وإنما هو كقول الشاعر :

قال جناحاه ليسا فيها جفاء

ولم يكن هناك قول ، بل هو إخبار عن سرعة اللحاق .

السادس : بمعنى الموت ، قال : ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾[سورة الزخرف آية : ٧٧] ، أي : ليمتنا ، ومثله قوله : ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾[سورة القصص آية : ١٥] ، ومثله : ﴿يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾[سورة الحاقة آية : ٢٧] .

السابع : بمعنى الوجوب ، قال الله : ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ﴾[سورة مريم آية : ٣٩] ، أي : وجب العذاب ، وقال : ﴿وَ قَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ﴾[سورة إبراهيم آية : ٢٢] ، والوجوب هنا الوقوع ؛ لأن العذاب كان وجب عليهم في الدنيا ، وإنما يقع في الآخرة .

الثامن : الكتاب ، قال الله : ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيا﴾[سورة مريم آية : ٢١] ، أي : مكتوب في اللوح المحفوظ ، ويجوز أن يكون أمرا مقتضيا ، أي : مقدرا مفروغا .

التاسع : قضى بمعنى أتم ، قال : ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ﴾[سورة القصص آية : ٢٩] ، أي : أتم الشرط المشروط إلى الأجل ، ومثله : ﴿وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾[سورة طه آية : ١١٤] ، أي : من قبل أن يتم جبريل صلوات الله عليه قرآنه عليك .

العاشر : قضى بمعنى فصل ، قال الله : ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ﴾ [سورة الزمر آية : ٦٩] ، وقال : ﴿لَقُضِيَ الأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾[سورة الأنعام آية : ٥٨] ، ونظيره : ﴿إِن رَبُّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ﴾ [سورة الجاثية آية : ١٧] .

الحادي عشر : قضى بمعنى خلق ، قال الله : ﴿فَقَضَاهُن سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾[سورة فصلت آية : ١١] ، أي : فخلقهن ، ويجوز أن يقال : أتم خلقهن فيكون على الأصل .

الثاني عشر : قضى بمعنى حكم ، قال تعالى : ﴿وَاللهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾[سورة غافر آية : ٢٠] ، وقريب منه ، قوله تعالى : ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلا لله يَقُضِي الْحَقَّ﴾[سورة الأنعام آية : ٥٧] .

وفي هذا دليل على أنه لم يقض الكفر ؛ لأنه ليس حق فقد قال : ﴿وَيَقْتُلُونَ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [سورة آل عمران آية : ١١٢] ، فدل على أن قتلهم ليس من قضائه لإخباره أنه لا يقضي إلا بالحق ، وإن زعموا أن قتلهم من قضائه لزمهم أن يقولوا أن قتلهم حق ؛ لأن قضاءه حق .

وقرئ ﴿يقضي الحق﴾ ، ويقضي أجود هنا ، لقولنا : ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلا لله﴾[سورة يوسف آية : ٤٠ ، ٦٧ ، الأنعام : ٥٧] ، والحكم والقضاء واحد ، وجميع هذه الوجوه راجع إلى ما قلنا من الأحكام ، والفراغ من نفس الشيء أو حكمه أو الخبر عنه .

obeikandl.com

القدر[1]

القدر هو وجود الأفعال على مقدار الحاجة إليها والكفاية لما فعلت من أجله ؛ كان القدر هو الوجه الذي أردت إيقاع المراد عليه ، والمقدر للفعل هو الموجب له على ذلك الوجه .

وأصل القدر في العربية التوسط بين العلو والتقصير ، ومن ثم قيل : للقدرة قدرة ؛ لأن الفعل يقع على قدره ، وقيل : هذا على قدر ذلك ، وقدره أي : غير فاصل عنه ولا مقصر دونه ، ومنه قيل : القدر لأنك تطبخ فيها الطبيخ بقدر ما تحتاج إليه ، أو بقدر ما تسعه .

وسمي قدر الله قدرا لأنه يقع على قدر المصالح ، لا فضل ولا نقصان ، ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنا كُل شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾[سورة القمر آية : ٤٩] ، أي : هو على قدر الصلاح .

وقال بعضهم : أصل القدر هو وجود الفعل على مقدار ما أراده الفاعل وحقيقته في أفعال الله وجودها على قدر المصالح ، وأما قوله : ﴿ وَخَلَقَ كُل شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا ﴾[سورة الفرقان آية : ٢] ، فإن اللفظ عام ، والمعنى خاص ؛ لأن المعاصي لم تدخل فيه ، والشاهد قوله : ﴿ صُنْعَ اللهِ الذِي أَتْقَنَ كُل شَيْءٍ ﴾[سورة النمل آية : ٨٨] ، والباطل ليس بمتقن .

والدليل على أن كل تجيء لغير معنى الإحاطة ، قوله : ﴿ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُل شَيْءٍ ﴾[سورة النمل آية : ٢٣] ، ونحن نعلم أنها لم تؤت لحية ، وقوله : ﴿ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُل شَيْءٍ سَبَبًا ﴾[سورة الكهف آية : ٨٤] ، وهو القدر ، والقدر ، ثم استعمل في التقصير فقيل : قدر فلان على نفسه مثل قتر ونحوه ، : ﴿ فَظَنَ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ [سورة الأنبياء آية : ٨٧] ، أي : ظن أن لن نضيق عليه ؛ كقوله : ﴿ يَبْسُطُ الرزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ﴾ ، ومنه : ﴿ ومَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِما آتَاهُ اللهُ ﴾ [سورة الطلاق آية : ٧] ، أي : ضيق عليه .

ومن ذلك قولهم : رجل أقدر ، إذا كان قصير العنق ؛ وجاء أيضا في الزيادة ، فقيل : فرس أقدر للذي تتقدم موقع رجله موقع يده ، والخبر السابق بها يكون قدرة أيضا إذا كان

---

(١) [قدر] : القَدَرُ : القضاء الموفق ، يقال : قَدره الله تقديرا . وإذا وافق الشيء شيئاً قيل : جاء على قَدَرِه . والقَدَرِيّة : قوم يكذبون بالقَدرِ . [العين :قدر] .

المخبر عنه ، ويكون على مقدار ما تقدم به الخبر ، ومنه قوله : ﴿إلا امْرَأَتَهُ قَدرْنَا إنها لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾[سورة الحجر آية : ٦٠] ، أي : أخبر عن ذلك ، بقوله : ﴿إلا امْرَأَتَكَ إِنهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ﴾[سورة هود آية : ٨٠] ، ومنه ، قول العجاج :

وأعلم بأن ذا الجلال قد قدر

أي أخبره ، وقيل : قدر وقدر لغتان بمعنى واحد ، وقرئ : ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ [سورة المرسلات آية : ٢٣] ، بالتثقيل فجمع بين اللغتين ، [كما] قال الأعشى :

وأنكرتني وما كان الذي نكرت

والصحيح أن قدر الشيء بالتشديد و في تكرير الفعل ، وقيل : التخفيف بمعنى القدرة والملك ، ومعنى قولهم : المقدور كائن ، أن ما أخبر الله بكونه كائن ؛ وليس أن المعنى المخلوق كائن ؛ لأن ذلك لا يشك فيه .

والقدر في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : الأمر والحكم ، قال الله : ﴿وَالذِي قَدرَ فَهَدَى﴾[سورة الأعلى آية : ٣] ، يعني : أنه أمر في الزاني بالرجم ، وفي القاذف بالجلد ، وفي السارق بالقطع ، وفي القاتل بالقتل ، وهدى بذلك إلى ما فيه نجاة الخلق .

وفي هذا دليل على أن المعصية ليست من قدر الله ، لقوله : ﴿قَدرَ فَهَدَى﴾[سورة الأعلى آية :٣] ، ولم يقل : قدر فأضل وأعمى .

الثاني : الخلق على قدر ، قال تعالى : ﴿وَاللهُ يُقَدرُ الليْلَ وَالنهَارَ﴾[سورة المزمل آية : ٢٠] ، أي : يخلق كل واحد منهما بعد الآخر على قدر لا زيادة ولا نقصان .

وقال : ﴿وَالشمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَر لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾[سورة يس آية : ٣٨] ، أي : ذلك خلقه كذا قيل ، ويجوز أن يكون المعنى أنه قدر سيرها تقديرا لا يتفاوت .

الثالث : التسوية ، قال الله : ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾[سورة يس آية : ٣٩] أي : سوينا له منازل ينزل فيها حالا بعد حال ، وهو راجع إلى الخلق كذا قيل ، ويجوز أن يكون المراد إنا قدرنا سيره في المنازل تقديرا لا يتفاوت .

قال أبو علي رحمه الله : القدر على وجهين :

أحدهما : أن يفعل الله الشيء مقدرا ، والآخر : أن يقدر لخلقه بأن يعرفهم مقداره ووقت كونه ؛ كقولك لصاحبك : كم تقدر مقامك بالبلد ؟ وللخياط : ما يقدر أن تعطني الثوب ، ومعنى ذلك أن يعرفك مقداره .

obeikandl.com

قليل[1]

القليل ما يقصر عن الكفاية ، وهو قل بمعنى قليل ، والقل أيضا القلة مثل النحل والنحلة ، والعذر والعذرة ، وقيل : قل فعل ولهذا جاء فاعله على فعيل ، مثل كرم ، وهو كريم ، وكثر وهو كثير ، وقيل هو فعل إلا أنه دخله معنى المبالغة فجاء فاعله على فعيل ، كما قيل : حرص وهو حريص وهذا هو الصحيح ، ويقال : هؤلاء قوم قليل وقليلون وكثير ، ولم يجيء كثيرون .

والقليل في القرآن على ثلاثة أوجه فيما ذكروا وبعضها عندنا داخل في بعض :

الأول : بمعنى اليسير ، قال : ﴿وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلا﴾[سورة آل عمران آية : ١٨٧] ، أراد أن أهل الكتاب تركوا العمل بكتابهم وكتموا ما يدل منه على نبوة محمد صلى الله عليه وعلى آله ، لعرض نالوه من عرض الدنيا وذلك قليل .

الثاني : بمعنى الرياء فيما جاء عن بعضهم ، وهو قوله : ﴿وَلا يَذْكُرُونَ اللهَ إِلا قَلِيلا﴾[2] [سورة النساء آية : ١٤٢] ، وهو والأول عندنا سواء ، والمراد أن المنافقين يذكرون الله إذا لقوا المؤمنين فذكرهم له قليل بالإضافة إلى ذكر المؤمنين له ؛ لأن المؤمنين يذكرونه على كل حال .

---

(١) الفرق بين القليل واليسير : أن القلة تقتضي نقصان العدد يقال قوم قليل وقليلون وفي القرآن " لشرذمة قليلون " يريد أن عددهم ينقص عن عدة غيرهم وهي نقيض الكثرة وليس الكثرة إلا زيادة العدد وهي في غيره إستعارة وتشبيه ، واليسير من الاشياء ما يتيسر تحصيله أو طلبه ولا يقتضي ما يقتضيه القليل من نقصان العدد ألا ترى أنه يقال عدد قليل ولا يقال عدد يسير ولكن يقال مال يسير لان جمع مثله يتيسر فإن استعمل اليسير في موضع القليل فقد يجري إسم الشيء على غيره إذا قرب منه . [الفروق اللغوية :١/ ٤٣٤] .

(٢) قال أبو جعفر : أما قوله :"ولا يذكرون الله إلا قليلا" ، فلعل قائلا أن يقول : وهل من ذكر الله شيء قليل ؟

قيل له : إن معنى ذلك بخلاف ما ذهبت : ولا يذكرون الله إلا ذكر رياء ، ليدفعوا به عن أنفسهم القتل والسباء وسلبَ الأموال ، لا ذكر موقن مصدّق بتوحيد الله ، مخلص له الربوبية . فلذلك سماه الله"قليلا" ، لأنه غير مقصود به الله ، ولا مبتغًى به التقرّب إلى الله ، ولا مرادٌ به ثواب الله وما عنده . فهو ، وإن كثر ، من وجه نَصَب عامله وذاكره ، في معنى السراب الذي له ظاهرٌ بغير حقيقة ماء . [جامع البيان :٩/ ٣٣١] .

الثالث : النفي ، قال الله : ﴿ قَلِيلا مَا تَشْكُرُونَ ﴾ وقوله : ﴿ فَقَلِيلا مَا يُؤْمِنُونَ ﴾[سورة البقرة آية : ٨٨] ، أي : لا يؤمنون ولا يشكرون أصلا ؛ لأنه في صفة الكفار ، والعرب تقول :

قَلَّتْ حِيلَتِي فِي كَذَى إِذَا لقيت

وقال شاعرهم :

مَنْ كَانَ يكذبُ مَا يقُولُ فَحِيلَتِي فِيهِ قَلِيلَةٌ

أي ليس لي فيه حيلة .

obeikandl.com

القتل[1]

إماته الحركة ، وقيل : قتلت هذا الشيء علما إذا بلغت أقصى العلم به ، وناقة ذات قتال وكتال إذا كانت ذات خلق ، والفرق بين القتل والذبح ، أن الذبح عمل معلوم ، والقتل ليس بمعلوم ، ولهذا قال أصحابنا : إن استأجر الرجل رجلا على قتل رجل قصاصا ؛ إن ذلك لا يصح وإن استأجر على ذبح شاة صح .

والقتل في القرآن على وجهين :

الأول : القتل بعينه ، قال : ﴿ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ﴾[سورة البقرة آية : ١٩١ ، النساء : ٩١] .

الثاني : اللعن ، قال الله : ﴿ قُتِلَ الإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴾[سورة عبس آية : ١٧] ، ومثله : ﴿ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدرَ ﴾[سورة المدثر آية : ١٩] ، أي : لعن ، كيف قدر الباطل على النبي صلى الله عليه وعلى آله ، فقال : إنه ساحر .

---

(١)(ق ت ل) : قَتَلْتُهُ قَتْلًا أَزْهَقْتُ رُوحَهُ فَهُوَ قَتِيلٌ وَالْمَرْأَةُ قَتِيلٌ أَيْضًا إِذَا كَانَ وَصْفًا فَإِذَا حُذِفَ الْمَوْصُوفُ جُعِلَ اسْمًا وَدَخَلَتْ الْهَاءُ نَحْوُ رَأَيْت قَتِيلَةَ بَنِي فُلَانٍ وَالْجَمْعُ فِيهِمَا قَتْلَى وَقَتَلْتُ الشَّيْءَ قَتْلًا عَرَفْتُهُ وَالْقِتْلَةُ بِالْكَسْرِ الْهَيْئَةُ يُقَالُ قَتَلَهُ قِتْلَةَ سُوءٍ وَالْقَتْلَةُ بِالْفَتْحِ الْمَرَّةُ وَقَاتَلَهُ مُقَاتَلَةً وَقِتَالًا فَهُوَ مُقَاتِلٌ بِالْكَسْرِ اسْمُ فَاعِلٍ وَالْجَمْعُ مُقَاتِلُونَ وَمُقَاتِلَةٌ وَبِالْفَتْحِ اسْمُ مَفْعُولٍ وَالْمُقَاتَلَةُ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ فِي الْقِتَالِ بِالْفَتْحِ وَالْكَسْرِ مِنْ ذَلِكَ لِأَنَّ الْفِعْلَ وَاقِعٌ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ وَعَلَيْهِ فَهُوَ فَاعِلٌ وَمَفْعُولٌ فِي حَالَةٍ وَاحِدَةٍ وَعِبَارَةُ سِيبَوَيْهِ فِي هَذَا الْبَابِ بَابُ الْفَاعِلَيْنِ وَالْمَفْعُولَيْنِ اللَّذَيْنِ يَفْعَلُ كُلُّ وَاحِدٍ بِصَاحِبِهِ مَا يَفْعَلُهُ صَاحِبُهُ بِهِ وَمِثْلُهُ فِي جَوَازِ الْوَجْهَيْنِ الْمُكَاتَبُ وَالْمُهَادَنُ وَهُوَ كَثِيرٌ وَأَمَّا الَّذِينَ يَصْلُحُونَ لِلْقِتَالِ وَلَمْ يَشْرَعُوا فِي الْقِتَالِ فَبِالْكَسْرِ لَا غَيْرُ لِأَنَّ الْفِعْلَ لَمْ يَقَعْ عَلَيْهِمْ فَلَمْ يَكُونُوا مَفْعُولِينَ فَلَمْ يَجُزْ الْفَتْحُ وَالْمَقْتَلُ بِفَتْحِ الْمِيمِ وَالتَّاءِ الْمَوْضِعُ الَّذِي إذَا أُصِيبَ لَا يَكَادُ صَاحِبُهُ يَسْلَمُ كَالصُّدْغِ وَتَقَتَّلَ الرَّجُلُ لِحَاجَتِهِ تَقَتُّلًا وِزَانُ تَكَلَّمَ تَكَلُّمًا إذَا تَأَنَّى لَهَا . [المصباح المنير :القاف والتاء] .

القول[1]

عبارة عن جملة ما يتكلم به المتكلم على سبيل الحكاية ، والكلام عبارة عن جنس ما يتكلم به موجودا كان أو معدوما ، ومبتدأ أو محكيا ، وقد شرحنا هذا المعنى في التفسير .

ويقال : قال يقول من القول ، وقال يقيل من القيلولة ، والقيل دون الملك الأعظم والجمع أقيال ، والقيل شرب ونصف النهار ، وقد أقتال الرجل إذا صار قيلا ، واقتال شرب قيلا ، وكل ما يجيء بعد القول فهو مرفوع إلا أن يكون من القول ، تقول : قلت اليوم طيب فترفع ، لأن اليوم ليس من القول ، وتقول : قلت كلاما حسنا ، وقلت خيرا ؛ لأن الخير يقال ، ولا تقول : قلت ثوبا جديدا ؛ لأن الثوب ليس مما يقال .

والقائل في القرآن على وجهين :

الأول : فاعل القول ، قال تعالى : ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾[سورة الصافات آية : ٥١] .

الثاني : من القيلولة ، قال : ﴿أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ [سورة الأعراف آية : ٤] ، [أي] نائمون في أنصاف النهار .

---

(١)(ق و ل) : قَالَ يَقُولُ قَوْلًا وَمَقَالًا وَمَقَالَةً وَالْقَالُ وَالْقِيلُ اسْمَانِ مِنْهُ لَا مَصْدَرَانِ قَالَهُ ابْنُ السِّكِّيتِ وَيُعْرَبَانِ بِحَسَبِ الْعَوَامِلِ .
وَقَالَ فِي الْإِنْصَافِ : هُمَا فِي الْأَصْلِ فِعْلَانِ مَاضِيَانِ جُعِلَا اسْمَيْنِ وَاسْتُعْمِلَا اسْتِعْمَالَ الْأَسْمَاءِ وَأُبْقِيَ فَتْحُهُمَا لِيَدُلَّ عَلَى مَا كَانَا عَلَيْهِ قَالَ وَيَدُلُّ عَلَيْهِ مَا فِي الْحَدِيثِ ﴿نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قِيلَ وَقَالَ﴾ بِالْفَتْحِ وَحَدِيثٌ مَقُولٌ عَلَى النَّقْصِ وَتَقَوَّلَ الرَّجُلُ عَلَى زَيْدٍ مَا لَمْ يَقُلْ ادَّعَى عَلَيْهِ مَا لَا حَقِيقَةَ لَهُ . [المصباح المنير :القاف مع الواو] .

القائم

أَصْل القيام الاستواء ومنه ، قام الشيء لاستوائه منتصبا ، وقومه سواه ، وقاومه استوى معه في القول أو الخصومة ، وقامت السوق لاستوائها في البيع والشراء ، وأقام أرزاق الجند ؛ إذا أجراها على استواء ، وأقام الوزن سواه وعدله ، وقوم الثوب إذا ذكر ما يساويه من الثمن ، وأقام بالمكان يرجع إلى هذا .

والقائم في القرآن على وجهين :

الأول : بمعنى المديم للفعل ، قال الله : ﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾[1] [سورة آل عمران آية : ١٨] ، أي : مديم لفعله ، والقسط العدل ونحوه : ﴿إِلا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ [سورة آل عمران آية : ٧٥] ، أي : مديما للتقاضي .

الثاني : القائم خلاف القاعد ، قال الله : ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾[سورة آل عمران آية : ١٩١] .

---

(١) قال الرازي : أما قوله تعالى : ﴿قَائِمًا بالقسط﴾ ففيه مسائل : المسألة الأولى : ﴿قَائِمًا بالقسط﴾ منتصب ، وفيه وجوه : الوجه الأول : نصب على الحال ، ثم فيه وجوه أحدها : التقدير : شهد الله قائماً بالقسط وثانيها : يجوز أن يكون حالا من هو تقديره : لا إله إلا هو قائماً بالقسط ، ويسمى هذا حالاً مؤكدة كقولك : أتانا عبد الله شجاعاً ، وكقولك : لا رجل إلا عبد الله شجاعاً .

الوجه الثاني : أن يكون صفة المنفي ، كأنه قيل : لا إله قائماً بالقسط إلا هو ، وهذا غير بعيد لأنهم يفصلون بين الصفة والموصوف . والوجه الثالث : أن يكون نصباً على المدح .

فإن قيل : أليس من حق المدح أن يكون معرفة ، كقولك ، الحمد لله الحميد . قلنا : وقد جاء نكرة أيضاً ، وأنشد سيبويه :

ويأوي إلى نسوة عطل *** وشعثاً مراضع مثل السعالي

المسألة الثانية : قوله ﴿قَائِمًا بالقسط﴾ فيه وجهان الأول : أنه حال من المؤمنين والتقدير : وأولوا العلم حال كون كل واحد منهم قائماً بالقسط في أداء هذه الشهادة والثاني : وهو قول جمهور المفسرين أنه حال من ﴿شَهِدَ الله﴾ . المسألة الثالثة : معنى كونه ﴿قَائِمًا بالقسط﴾ قائماً بالعدل ، كما يقال : فلان قائم بالتدبير ، أي يجريه على الاستقامة . [مفاتيح الغيب :٤/ ١٤٤] .

الباب الثاني والعشرون

فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله كاف

الكتب[1]

أصل الكتب الجمع ، والكتيبة العسكر الذي قد تكتب ، أي : تجمع ، وقيل : هي الذي اجتمع فيها ما تحتاج إليه للحرب ، وكتبت البغلة جمعت بين أشعرها بحلقة ، والكتبة الخرزة لأنها تجمع من طرفي الأديم ، وسمي الكتاب كتابا ؛ لأنه جمع الحروف والمعاني ، والكتب أيضا الخلق ، قال الهذلي :

كتب البياض لها وثور لونها ... فعيونها حتى الحواجب سود

أي خلقن بيضا وعيونها وحواجبها سود ، ولما كان في خلقها بياض وسواد عبر عن ذلك بالكتب تشبيها ، ويقولون : كتب الله عليكم السلامة ، أي : خلقها لكم .

---

(١) (ك ت ب) : (كَتَبَهُ) كِتْبَةً وَكِتَابًا وَكِتَابَةً وَقَوْلُهُ وَإِذَا كَانَتْ السَّرِقَةُ صُحُفًا لَيْسَ فِيهَا كِتَابٌ أَيْ مَكْتُوبٌ (وَفِي حَدِيثِ أُنَيْسٍ) وَاحْكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ أَيْ بِمَا فَرَضَ اللَّهُ مِنْ كَتَبَ عَلَيْهِ كَذَا إذَا أَوْجَبَهُ وَفَرَضَهُ (وَمِنْهُ) الصَّلَاةُ الْمَكْتُوبَةُ وَأَمَّا قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴿مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَشْتَرِطُونَ شُرُوطًا لَيْسَتْ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى﴾ فَقِيلَ الْمُرَادُ قَوْله تَعَالَى ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾ إلَى أَنْ قَالَ وَمَوَالِيكُمْ فِيهِ أَنَّهُ نَسَبَهُمْ إلَى مَوَالِيهِمْ كَمَا نَسَبَهُمْ إلَى آبَائِهِمْ فَلَمَّا لَمْ يَجُزْ التَّحَوُّلُ عَنْ الْآبَاءِ لَمْ يَجُزْ عَنْ الْأَوْلِيَاءِ وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِكِتَابِ اللَّهِ قَضَاؤُهُ وَحُكْمُهُ عَلَى لِسَانِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إنَّ الْوَلَاءَ لِمَنْ أَعْتَقَ (وَأَكْتَبَ الْغُلَامَ وَكَتَبْتُهُ) عَلَّمْتُهُ الْكِتَابَ (وَمِنْهُ) سَلَّمَ غُلَامَهُ إلَى مُكَتِّبٍ أَيْ إلَى مُعَلِّمٍ الْخَطِّ رُوِيَ بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ (وَأَمَّا الْمُكْتَبُ) وَالْكُتَّابُ فَمَكَانُ التَّعْلِيمِ وَقِيلَ الْكُتَّابُ الصِّبْيَانُ (وَكَاتَبَ) عَبْدَهُ مُكَاتَبَةً وَكِتَابًا قَالَ لَهُ حَرَّرْتُك يَدًا فِي الْحَالِ وَرَقَبَةً عِنْدَ أَدَاءِ الْمَالِ (وَمِنْهُ) قَوْله تَعَالَى ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ﴾ وَقَدْ يُسَمَّى بَدَلُ الْكِتَابَةِ مُكَاتَبَةً وَأَمَّا الْكِتَابَةُ فِي مَعْنَاهَا فَلَمْ أَجِدْهَا إلَّا فِي الْأَسَاسِ وَكَذَا تَكَاتَبَ الْعَبْدُ إذَا صَارَ مُكَاتَبًا وَمَدَارُ التَّرْكِيبِ عَلَى الْجَمْعِ (وَمِنْهُ كَتَبَ النَّعْلَ وَالْقِرْبَةَ) خَرَزَهَا (وَالْكُتْبُ الْخَرَزُ) الْوَاحِدَةُ كُتْبَةٌ (وَمِنْهُ كَتَبَ الْبَغْلَةَ) إذَا جَمَعَ بَيْنَ شَفْرَتَيْهَا بِحَلْقَةٍ (وَالْكَتِيبَةُ) الطَّائِفَةُ مِنْ الْجَيْشِ مُجْتَمِعَةً (وَبِهَا سُمِّيَ) أَحَدُ حُصُونِ خَيْبَرَ (وَقَوْلُهُمْ) سُمِّيَ هَذَا الْعَقْدُ مُكَاتَبَةً لِأَنَّهُ ضَمُّ حُرِّيَّةِ الْيَدِ إلَى حُرِّيَّةِ الرَّقَبَةِ أَوْ لِأَنَّهُ جَمَعَ بَيْنَ نَجْمَيْنِ فَصَاعِدًا ضَعِيفٌ جِدًّا وَإِنَّمَا الصَّوَابُ أَنَّ كُلًّا مِنْهُمَا كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ أَمْرًا هَذَا الْوَفَاءَ وَهَذَا الْأَدَاءَ . [المغرب :الكاف مع التاء] .

وكتب قدر والمكتوب بمعنى معلوم وبمعنى محدد ، قال أبو عبيدة : كتب قضى ، وكتب حفظ .

والكتب في القرآن على خمسة أوجه :

الأول : بمعنى الفرض ، قال الله : ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ﴾[سورة البقرة آية : ١٧٩] ، أي : فرض ، وإنما جعل الفرض كتبا ؛ لأنه فرضه في الكتاب وهو في القرآن ، ومثله : ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصيَامُ﴾[سورة البقرة آية : ١٨٣] ، ومثله كثير .

الثاني : كتب قضى ، قال الله : ﴿لأَغْلِبَن أَنَا وَرُسُلِي﴾[سورة المجادلة آية : ٢١] ، ومثله : ﴿لَنْ يُصِيبَنَا إِلا مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا﴾[سورة التوبة آية : ٥١] ، ومثله : ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنهُ مَنْ تَوَلاهُ فَأَنهُ يُضِلهُ﴾[سورة الحج آية : ٤] أي : قضى وبين ؛ لأن كل من تولاك ضال ، وقال : ﴿لَبَرَزَ الذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾[سورة آل عمران آية : ١٥٤] ، أي : قضى وذلك أن الله يقضي عليهم بالموت عند القتل لا محالة ، فجعل القتل من قضائه لأنه سبب لما يقضيه ، وهو الموت .

وليس ذلك بموجب أن يكون الذين قتلوا المؤمنين كانوا لا يقدرون على أن يقتلوهم ؛ لأنهم لو كانوا كذلك ما نهاهم الله عن قتلهم ، ولكن كان في المعلوم أنهم سيختارون قتلهم مع قدرتهم على تركه ؛ كما أن ما كتب أو أخبر أنه سيفعله فهو سكون لا محالة ، وأن الله قادر على أن لا يفعله .

ونزلت هذه الآية في قصة أحد لما أصيب بها المسلمون ، فقال المنافقون : لو كان لنا من الأمر شيء ما قلنا هاهنا ، أي : لو كان ما يزعمه محمد حقا ما قتل إخواننا هاهنا ؛ يعنون السلطان والغلبة ، فجعل قتل إخوانهم وأوليائهم قتلا لهم ، لأنهم منهم فأجابهم الله بقوله : ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾[سورة آل عمران آية : ١٥٤] ، أي : لو قعد ثم في بيوتكم أراده السلامة لخرج منكم الذين كتب الله ؛ وعلم أنهم يقتلون إلى مضاجعهم ، أي : مصارعهم ، ولم يرد القتل عنهم قعودكم ، لأن خلاف ما علمه لا يكون .

الثالث : الجعل ، قال الله : ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشاهِدِينَ﴾[سورة آل عمران آية : ٥٣ ، المائدة : ٨٣]، أي : اجعلنا ، ويجوز أن يكون فاكتبنا مع الشاهدين في اللوح المحفوظ ؛ لأن كل شيء يفعله الله مكت فيه ، وقال : ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلذِينَ يَتقُونَ﴾[سورة الأعراف آية : ١٥٦] ، أي : سأجعلها ، وقيل أتشاهدون أمة محمد صلى الله عليه ، المؤمنون الذين يشهدون على الناس بأعمالهم ، ويجوز أن يكونوا الأنبياء لأنهم يشهدون على أممهم بما شاهدوا من أعمالهم ، وقيل : ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلذِينَ يَتقُونَ﴾ [سورة الأعراف آية : ١٥٦] ، أي : سأجمعها وذلك أن رحمته ونعمته قد عمت الكافر والمؤمن في الدنيا ، وهو في الآخرة مجموعة للمؤمنين .

الرابع : الأمر ، قال الله : ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدسَةَ التِي كَتَبَ اللهُ لَكُمْ﴾[سورة المائدة آية : ٢١] ، أي : أمركم بدخولها .

الخامس : الكتب المعروف ، قال الله : ﴿إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمى فَاكْتُبُوهُ﴾[سورة البقرة آية : ٢٨٢] ، أي : اكتبوا مبلغ الدين ؛ لأن لا ينسى ، ومبلغ الأجل لأن لا يزاد فيه أو ينقص ، ولا خلاف بين فقهاء الأمصار أن الأمر بالكتابة والإشهاد والرهن هاهنا ندب وإرشاد إلى الأحوط .

وقد نقلت الأمة عقود المداينات والبياعات بغير إشهاد ولا نكير من الفقهاء .

وروي عن ابن جبير ، وعطاء ، وإبراهيم : أن الإشهاد على كتب المداينات والبياعات وقليلها واجب ، وليس ذلك بمعمول عليه .

وعن الحسن ، والشعبي : أن الشهادة والكتب كانا واجبين فنسخا ، بقوله : ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾[سورة البقرة آية : ٢٨٣] .

وقال ابن عباس : لم ينسخ ذلك ، وأما قوله : ﴿كَتَبَ رَبكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرحْمَةَ﴾[سورة الأنعام آية : ٥٤] ، فمعناه أنه حكم بها وأوجبها على نفسه ، وقال : ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ﴾[سورة المجادلة آية : ٢٢] ، أي : علامة الإيمان ، كما قال : ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾[سورة البقرة آية : ٩٣] ، أي : حب العجل ، فحذف .

وكان بنان بن سمعان يذهب إلى أن الله كتب على وجهه وسائر أعضائه الرحمة ، ويذهب إلى أنه ليس في كلام الله مجاز ، وكان يقول أن الله يفنى سائره ويبقى وجهه ، لقوله تعالى : ﴿ كُل شَيْءٍ هَالِكٌ إِلا وَجْهَهُ ﴾[سورة القصص آية : ٨٨] .

obeikandl.com

الكفر[1]

أصله التغطية ، ويقال : لليل كافر ؛ لأنه يغطي كل شيء بظلمته ، وكفر الغمام النجوم سترها ، والكافر الذي ليس فوق درعه ثوبا ، والزارع كافر ؛ لأنه يغيب البذر في الأرض ، وكفر النعمة إذا لم يشكرها كأنه سترها ، ويقال : لوعاء كل ثمرة كافور ؛ لأنه يغطيها ، ويقال للطلع الكفرت ؛ لأنه في غطاء ، ويكفر الذنوب بسترها كالغفران ، ومعنى ذلك أن الله لا يفضح أصحابها بها .

والكفر في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : الجحد ، قال : ﴿الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ﴾[سورة آل عمران آية : ٢١] ، أي : يجحدونه ، والجحد لا يكون إلا مع العلم مثل جحد الرجل حق صاحبه ؛ فأما من ينكر ما لا يعرف صحته فليس بجاحد ، ونظيره قوله : ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾[سورة البقرة آية : ٨٩] ، أي : جحدوه فجعلوا الجحد مع المعرفة على ما ذكرنا .

---

(١) (ك ف ر) : (الْكَفْرُ) فِي الْأَصْلِ السَّتْرُ يُقَالُ كَفَرَهُ وَكَفَّرَهُ إذَا سَتَرَهُ (وَمِنْهُ) الْحَدِيثُ فِي ذِكْرِ الْجِهَادِ هَلْ ذَلِكَ مُكَفِّرٌ عَنْهُ خَطَايَاهُ يَعْنِي هَلْ يُكَفِّرُ الْقَتْلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذُنُوبَهُ فَقَالَ ﴿نَعَمْ إلَّا الدَّيْنَ﴾ أَيْ إلَّا ذَنْبَ الدَّيْنِ فَإِنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ قَضَائِهِ وَالْكَفَّارَةِ مِنْهُ لِأَنَّهَا تُكَفِّرُ الذَّنْبَ (وَمِنْهَا) كَفَّرَ عَنْ يَمِينِهِ وَأَمَّا كَفَّرَ يَمِينَهُ فَعَامِّيٌّ (وَالْكَافُورُ) و (الْكُفْرَى) بِضَمِّ الْكَافِ وَفَتْحِ الْفَاءِ وَتَشْدِيدِ الرَّاءِ كِمُّ النَّخْلِ لِأَنَّهُ يَسْتُرُ مَا فِي جَوْفِهِ (وَالْكُفْرُ) اسْمٌ شَرْعِيٌّ وَمَأْخَذُهُ مِنْ هَذَا أَيْضًا (وَأَكْفَرَهُ) دَعَاهُ كَافِرًا (وَمِنْهُ) لَا تُكَفِّرْ أَهْلَ قِبْلَتِكَ وَأَمَّا لَا تُكَفِّرُوا أَهْلَ قِبْلَتِكُمْ فَغَيْرُ ثَبَتٍ رِوَايَةً وَإِنْ كَانَ جَائِزًا لُغَةً قَالَ الْكُمَيْتُ يُخَاطِبُ أَهْلَ الْبَيْتِ وَكَانَ شِيعِيًّا وَطَائِفَةٌ قَدْ أَكْفَرُونِي بِحُبِّكُمْ وَطَائِفَةٌ قَالُوا مُسِيءٌ وَمُذْنِبٌ وَيُقَالُ أَكْفَرَ فُلَانًا صَاحِبُهُ إذَا أَلْجَأَهُ بِسُوءِ الْمُعَامَلَةِ إلَى الْعِصْيَانِ بَعْدَ الطَّاعَةِ (وَمِنْهُ) حَدِيثُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَلَا تَمْنَعُوهُمْ حُقُوقَهُمْ فَتُكَفِّرُوهُمْ يُرِيدُ فَتُوقِعُوهُمْ فِي الْكُفْرِ لِأَنَّهُمْ رُبَّمَا ارْتَدُّوا عَنْ الْإِسْلَامِ إذَا مُنِعُوا الْحَقَّ (وَكَافَرَنِي) حَقِّي جَحَدَهُ (وَمِنْهُ) قَوْلُ عَامِرٍ إذَا أَقَرَّ عِنْدَ الْقَاضِي بِشَيْءٍ ثُمَّ كَافَرَ (وَأَمَّا) قَوْلُ مُحَمَّدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ رَجُلٌ لَهُ عَلَى آخَرَ دَيْنٌ فَكَافَرَهُ بِهِ سِنِينَ فَكَأَنَّهُ ضَمَّنَهُ مَعْنَى الْمُمَاطَلَةِ فَعَدَّاهُ تَعْدِيَتَهُ (وَقَوْلُهُ) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿إذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ كَفَّرَتْ جَمِيعُ أَعْضَائِهِ لِلْقَلْبِ﴾ فَالصَّوَابُ اللِّسَانُ أَيْ تَوَاضَعَتْ مِنْ تَكْفِيرِ الذِّمِّيِّ وَالْعِلْجِ لِلْمَلِكِ وَهُوَ أَنْ يُطَأْطِئَ رَأْسَهُ وَيَنْحَنِيَ وَاضِعًا يَدَهُ عَلَى صَدْرِهِ تَعْظِيمًا لَهُ وَلَفْظُ الْحَدِيثِ لِأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ مَوْقُوفًا كَمَا قَرَأْتُهُ فِي الْفَائِقِ ﴿إذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ فَإِنَّ الْأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكَفِّرُ لِلِّسَانِ﴾ الْحَدِيثَ (وَالْكَفْرُ) الْقَرْيَةُ (وَمِنْهُ) قَوْلُ مُعَاوِيَةَ أَهْلُ الْكُفُورِ هُمْ أَهْلُ الْقُبُورِ وَالْمَعْنَى أَنَّ سُكَّانَ الْقُرَى بِمَنْزِلَةِ الْمَوْتَى لَا يُشَاهِدُونَ الْأَمْصَارَ وَالْجُمَعَ (وَلَا نَكْفُرُكَ) فِي (ق ن) . [المغرب :الكاف مع الفاء] .

الثاني : كفر النعمة ، قال : ﴿اشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ﴾[سورة البقرة آية : ١٥٢] ، وقوله : ﴿لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾[سورة النمل آية : ٤٠] ، وكقول فرعون لموسى : ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾[سورة الشعراء آية : ١٩] ، أي : لنعمتي .

الثالث : بمعنى البراءة ، قال الله تعالى : ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ﴾[سورة الممتحنة آية : ٤] ، وقال : ﴿يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ﴾[سورة العنكبوت آية : ٢٥] ، وقال في : ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ﴾[سورة إبراهيم آية : ٢٢] أي : تبرأت .

obeikandl.com

كان

أصلها الحدوث ، كان الشيء إذا أحدث فهو كائن ، ثم كثر حتى وقع موقع صار ، وموقع لم تزل وموقع هو وغير ذلك مما يذكره .

وذلك على ما حكى أهل التفسير ، وقال النحويون : كان لا يتعدى ، ومعناه حدوث الشيء ، أي : خلق ، فهو في أنه غير متعد بمنزلة قام ؛ فلما احتج إلى ذكر المضي في المبتدأ أو الخبر ، أدخلت كان على قوله : زيد قائم ، فقيل : كان زيد قائما .

والمعنى زيد قائم فيما مضى ، فرفع بها المبتدأ أو نصب الخبر ، كما قيل : ضرب زيد عمرا ؛ فإن أردت في المبتدأ والخبر الاستقبال قلت : يكون ومن أخواته ليس ، وهو ينفى به الحديث ولا ينفى به إلا ما في الحال دون المستقبل والماضي ، وهو موضوع للعبارة عن هذه الجملة .

وما دام وهما كلمتان ويعبر بذلك عن المبتدأ والخبر أيضا إذا كان له دوام ، ويرفع به الاسم ويتصرف معموله كما يتصرف معمول كان ، إلا أن ما لا يجوز أن يقدم عليه المعمول ؛ لأن المعمول هو في الصلة ، والصلة لا تقدم على الموصول . ولكن تقدم بعض الصلة على بعض ، تقول : لا أكلمك ما دام زيد قائما ، وما قائما دام زيد ومازال ، وهما كلمتان إلا أن ما حرف نفي هاهنا وليس باسم ، وما في قولك ما دام اسم مبهم ناقص ودام صلته ، وهو فعل وزال فعل منفي بها ، ومعناه ضد دام .

فلما دخلت عليه ما النافية صار بمعنى دام ؛ لأن نفي النفي إيجاب ، وتقول في المستقبل يزال ويزول ، وأما أصبح وأمسى وظل وبات فإنهن أفعال بمنزلة كان في العبارة عن بعض ، وفي أنها في الأصل غير متعدية إلا أن لكل واحد منها زيادة على ليست للآخر ؛ فأصبح يدل على وقت خاص وهو الصباح ، وأمسى تدل على وقت خاص وهو المساء ، وظل يدل على المكث في النهار ، وبات تدل على المكث بالليل .

وكان في القرآن على أربعة أوجه فيما قيل قالوا :

الأول : أن تكون بمعنى لم يزل ، قال : ﴿وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[1] [سورة الفتح آية : ٧] ، أي : هو لم يزل كذلك ، ويجوز أن يكون دخول كان هاهنا للتوكيد ، وكذا في قوله : ﴿وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ ، ويكون المعنى أنه غفور غفرانا عظيما ، ورحيم رحمة كبيرة ، ويجوز أن يكون المراد أن الغفران وإحكام الأمور من فعله فيما مضى ، وهذا الوجه هو الصحيح .

الثاني : بمعنى صار ، قال تعالى : ﴿إلا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾[سورة البقرة آية : ٣٤] ، وكذلك قوله : ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾[سورة النبأ آية : ١٩] ، وقال : ﴿وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلا﴾[سورة المزمل آية : ١٤] ، أي : صارت ، وحقيقة المعنى أنها تصير كذلك ، ويجوز أن يكون معناه أنه إذا كان يوم القيامة صارت كذلك ، وهذا هو الصحيح ، وقوله : ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾[سورة المعارج آية : ٨] ، أي : تصير .

الرابع : قراءته تفسيره ، قال : ﴿إِنهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولا نَبِيا وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصلاةِ وَالزكَاةِ﴾[سورة مريم آية : ٥٤ – ٥٥] ، وقوله : ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُل سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾[سورة الكهف آية : ٧٩] ، وإذا جاء قبل كان حرف نفي كانا بمعنى لا ينبغي وهو ، قوله : ﴿مَا كَانَ للهِ أَنْ يَتخِذَ مِنْ وَلَدٍ﴾[سورة مريم آية : ٣٥] ، أي : لا ينبغي له ذلك ، لأنه مستغن عنه ، وكذلك قوله : ﴿مَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إلا خَطَأً﴾ [سورة النساء آية : ٩٢] ، وقوله : ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍ أَنْ يَغُل﴾[سورة آل عمران آية : ١٦١] .

---

(١) قال أبو جعفر : أما قوله :"وكان الله عزيزًا حكيمًا" ، فإنه يعني : ولم يزل الله منتقمًا من أعدائه ، كانتقامه من الذين أخذتهم الصاعقة بظلمهم ، وكلعنه الذين قصّ قصتهم بقوله :"فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله" "حكيمًا" ، يقول : ذا حكمة في تدبيره وتصريفه خلقَه في قضائه . يقول : فاحذروا أيها السائلون محمدًا أن ينزل عليكم كتابًا من السماء ، من حلول عقوبتي بكم ، كما حل بأوائلكم الذين فعلوا فعلكم ، في تكذيبهم رسلي وافترائهم على أوليائي ، وقد حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا محمد بن إسحاق بن أبي بسارة الرُّؤاسيّ ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قوله :"وكان الله عزيزًا حكيمًا" ، قال : معنى ذلك : أنه كذلك . [جامع البيان :٩/ ٣٧٨] .

كبير[1]

أصل الصغر والكبر النقصان عن المعادلة والزيادة عليها ، ويقال الله كبير من جهة العظمة ، ولا يقال له : أنه صغير ولا قليل من جهة أنه واحد ؛ لأن الأصل في القليل أنه أنقص من غيره ، والصغير ما هو أصغر من غيره ، وهذا إنما يكون إذا كان غيره أكبر منه وأكثر .

ويجوز أن يكون الكبير في أسماء الله تعالى بمعنى أنه سيد مالك الأشياء ؛ لأن سيد القوم كبيرهم ، ويجوز أن يسمى بذلك ؛ لأنه لا مثل له ، وكذلك تسميتنا بأنه عظيم وجليل .

وأصل الصفة بكبير كبر الشخص ثم استعمل في كبر الشأن ، والكبير الشأن هو الممتنع من مساواة غيره بتضعيف أو غيره ، وذلك أن صفاته في أعلى مراتب التعظيم ، فيستحيل مساواتها الأصغر على وجه من الوجوه ، وهذه صفة الله .

والكبير الشخص ، هو الذي يمكن مساواته للأصغر بالتجزئة ، ويمكن مساواة الأصغر له بالتضعيف ، والصفة على هذا المعنى لا تجوز على الله ، ويذكر الشأن في صفاته ؛ لأنه يظهر به امتناع المساواة واستعماله على المجاز ، والله لم يزل كبيرا وأكبر من كل كبير ؛ لأنه يمتنع مساواة كبير غيره له ، ونظير الصفة تكبير عظيم ، والعظيم الشخص ، يمكن مساواة غيره له بالتضعيف .

ولا يصح في الجليل ؛ لأنه غلب عليه المدح ، والعظيم الشأن مثل الكبير الشأن ، لا يجوز مساواة غيره له ، والكبير في السن والشخص والشرف بالعلم يمكن مساواة الصغير له ؛ إما في السن فيتضاعف مدة البقاء ، وإما في الشرف بالعلم فباكتساب مثل ذلك العلم ، والكبير الشأن لا يمكن بمساواة الصغير الشأن له ؛ كفضيلة النبي بالنبوة لا يمكن أن يساويه في فضلها إنسان ، وكبر الشيء معظمه ، وقرئ في : ﴿الذِي تَوَلى كِبْرَهُ﴾[سورة النور آية :

---

(١)(ك ب ر) : (كَبُرَ) فِي الْقَدْرِ مِنْ بَابِ قَرُبَ (وَكَبِرَ فِي السِّنِّ) مِنْ بَابِ لَبِسَ كِبَرًا وَهُوَ كَبِيرٌ (وَكُبْرُ الشَّيْءِ وَكِبْرُهُ) مُعْظَمُهُ (وَقَوْلُهُمْ الْوَلَاءُ لِلْكُبْرِ) أَيْ لِأَكْبَرِ أَوْلَادِ الْمُعْتِقِ وَالْمُرَادُ أَقْرَبُهُمْ نَسَبًا لَا أَكْبَرُهُمْ سِنًّا وَكِبْرِيَاءُ اللَّهِ عَظَمَتُهُ (وَاَللَّهُ أَكْبَرُ) أَيْ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَتَفْسِيرُهُمْ إيَّاهُ بِالْكَبِيرِ ضَعِيفٌ (وَالْكَبْرُ) بِفَتْحَتَيْنِ اللَّصَفُ بِالْعَرَبِيَّةِ وَمِنْهُ أَرَأَيْتَ شَرَابًا يُصْنَعُ مِنْ الْكَبَرِ وَالشَّعِيرِ وَالتَّاءُ الْمُثَلَّثَةُ تَصْحِيفٌ . [المغرب :الكاف مع الباء الموحدة] .

١١] ، أي : معظم هذا الإفك ، ومنه الكبر من السن ؛ لأن صاحبه يعظم في الصدور ، فأما الكبر فأعجمي .

والكبير و ما يتشعب منه في القرآن على ثمانية أوجه :

الأول : الشديد ، قال الله : ﴿وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾[سورة الفرقان آية : ١٩] ، قال : ﴿وَلَتَعْلُنَّ عُلُوا كَبِيرًا﴾[سورة الإسراء آية : ٤] ، كل ذلك بمعنى شديد كذا قيل ، ونحن نقول : أن حقيقة الشدة والكبر في الأعراض إنما هي الزيادة في المقدار ، فقولك : علا علوا شديدا أو كبيرا أي : علوا زائدا على علو من هو في درجته أو من جنسه أو ما أشبه هذا .

الثاني : المسن ، قال : ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾[سورة القصص آية : ٢٣] ، قال : ﴿وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ﴾[سورة البقرة آية : ٢٦٦] .

الثالث : الزيادة في العلم والفهم ، قال : ﴿إِنهُ لَكَبِيرُكُمُ الذِي عَلمَكُمُ السحْرَ﴾[سورة طه آية : ٧١] ، أي : أعلمكم وأفهمكم ، ومثله قال : ﴿كَبِيرُهُمْ﴾[سورة يوسف آية : ٨٠ ، الأنبياء : ٦٣] ، أي : أفضلهم رأيا ، ولم يعن أكبرهم سنا هكذا قيل ، ويجوز عندنا أن يكون أراد أكبرهم في السن .

الرابع : بمعنى الكثير ، قال الله : ﴿وَلا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً﴾[سورة التوبة آية : ١٢١] ، وقوله : ﴿وَلا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ﴾[سورة البقرة آية : ٢٨٢] ، أي : مالا قليلا أو كثيرا ، ويجوز أن يكون أراد صغيرا أو كبيرا في القدر .

الخامس : الكبير في أسماء الله تعالى ، ومعناه الذي تقدم وهو قوله : ﴿الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾[سورة الرعد آية : ٩] ، وقوله : ﴿إِن اللهَ كَانَ عَلِيا كَبِيرًا﴾[سورة النساء آية : ٣٤] ، والمتعال الذي يتضاعف ما يستحقه من علو الصفات ، ولم يزل الله متعاليا على هذا المعنى ، وكل شيء نسب إلى العلو ، وهو معظم الشأن ، لأن العالي ينال ولا ينال ، ويوصف الله بالتعالي أيضا على وجه آخر ، وهو أنه يتضاعف ما تنزه به عن صفات النقص ، نحو قوله تعالى : ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشهَادَةِ فَتَعَالَى عَما يُشْرِكُونَ﴾ [سورة المؤمنون آية : ٩٢] ، ولا يقال :

الله رفيع ؛ لأن الرفيع مختص بعلو المكان والعلي مشترك بين علو المكان وعلو الشأن ، ومن جهة القدر والاقتدار ، وفي الرفع أيضا معنى الزوال ، رفعته أي : أزلته إلى فوق ، ومنه يقال : ارتفع الشيء إذا زال وذهب ، وقال بعضهم : العلي هو الجليل بما يستحق من ارتفاع معاني الصفات .

السادس : الكبرياء وهو بمعنى الغلبة والسلطان ، قال الله : ﴿ وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الأَرْضِ ﴾[سورة يونس آية : ٧٨] ، يعني : السلطان والملك والغلبة ، وقوله : ﴿ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾[سورة الجاثية آية : ٣٧] ، يعني : الملك والسلطان .

السابع : كبر ثقل ، قال الله : ﴿ وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ ﴾[سورة الأنعام آية : ٣٥] ، أي : ثقل ، وحقيقة المراد به أنه ينال منك منال الحمل الثقيل من حامله ، وذلك أن الكبير في أكثر الحال ثقيل .

الثامن : من الطويل ، قال : ﴿ إِنْ أَنْتُمْ إِلا فِي ضَلالٍ كَبِيرٍ ﴾[سورة الملك آية : ٩] ، قالوا معناه الطويل واستعمال الطول والكبر والثقل والعظم في الإعراض توسع إلا أن أستعمال بعض هذه الصفات في بعض الإعراض أشهر ، فلهذا قالوا : أن الكبر في الضلال بمعنى الطول ، والمراد أنه ضلال يستمر صاحبه عليه ولا يفارقه .

كذب[1]

أصل الكذب الترك ، ومنه قيل : كذبَ في الحرب إذا ترك الحملة ، وكذب الرجل في قوله ، إذا ترك العمل بما قاله .

وكذبت الرجل بالتخفيف ، أخبرته بكذب ، وكذبته بالتشديد أخبرت بأنه كاذب ، والمشكل في هذا الباب قوله تعالى : ﴿انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾[سورة الأنعام آية : ٢٤] .

ولا يجوز أن يكون في الآخرة كذب ؛ لأن أهلها ملجأون إلى ترك القبيح ، ولو لم يكونوا كذلك لكان القبيح قد أبيح لهم .

وإنما المراد أنهم ، يقولون في الآخرة : ﴿وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾[سورة الأنعام آية : ٢٣] ، أي : عند أنفسنا في الدنيا .

وقال : ﴿انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾[سورة الأنعام آية : ٢٤] في الدنيا ، بقولهم : أنهم مصيبون فيما يشركون ، وليس هذا خبرا عن الآخرة ، وقيل : كذبهم على أنفسهم هو جحدهم على جهة النسيان ، وإنكارهم لما كانوا عليه في الدنيا .

---

(١) (ك ذ ب) : كَذَبَ يَكْذِبُ كَذِبًا وَيَجُوزُ التَّخْفِيفُ بِكَسْرِ الْكَافِ وَسُكُونِ الذَّالِ فَالْكَذِبُ هُوَ الْإِخْبَارُ عَنْ الشَّيْءِ بِخِلَافِ مَا هُوَ سَوَاءٌ فِيهِ الْعَمْدُ وَالْخَطَأُ وَلَا وَاسِطَةَ بَيْنَ الصِّدْقِ وَالْكَذِبِ عَلَى مَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْإِثْمُ يَتْبَعُ الْعَمْدَ وَأَكْذَبَ نَفْسَهُ وَكَذَّبَهَا بِمَعْنَى اعْتَرَفَ بِأَنَّهُ كَذَبَ فِي قَوْلِهِ السَّابِقِ وَأَكْذَبْتُ زَيْدًا بِالْأَلِفِ وَجَدْتُهُ كَاذِبًا وَكَذَّبْتُهُ تَكْذِيبًا نَسَبْتُهُ إلَى الْكَذِبِ أَوْ قُلْت لَهُ كَذَبْت قَالَ الْكِسَائِيُّ وَتَقُولُ الْعَرَبُ أَكْذَبْتُهُ بِالْأَلِفِ إذَا أَخْبَرْتَ بِأَنَّ الَّذِي حَدَّثَ كَذِبٌ وَرَجُلٌ كَاذِبٌ وَكَذَّابٌ .

وَفِي التَّنْزِيلِ ﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ فِيهِ أَدَبٌ حَسَنٌ لِمَا يَلْزَمُ الْعُظَمَاءَ مِنْ صِيَانَةِ أَلْفَاظِهِمْ عَنْ مُوَاجَهَةِ أَصْحَابِهِمْ بِمُؤْلِمِ خِطَابِهِمْ عِنْدَ احْتِمَالِ خَطَئِهِمْ وَصَوَابِهِمْ وَمِثْلُهُ قَوْله تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ الْمُنَافِقِينَ ﴿قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ ثُمَّ قَالَ ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ أَيْ فِي ضَمِيرِهِمْ الْمُخَالِفِ الظَّاهِرَ لِأَنَّهُ قَدْ يَكُونُ كَاذِبًا بِالْمَيْلِ لَا فِي نَفْسِ الْأَمْرِ فَكَانَ أَلْطَفَ مِنْ قَوْلِهِ أَصَدَقْتَ أَمْ كَذَبْتَ وَمِنْ هُنَا يُقَالُ عِنْدَ احْتِمَالِ الْكَذِبِ لَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ وَنَحْوُهُ فَإِنَّهُ يَحْتَمِلُ أَنَّهُ تَعَمَّدَ الْكَذِبَ أَوْ غَلِطَ أَوْ لَبَّسَ فَأَخْرَجَ الْبَاطِلَ فِي صُورَةِ الْحَقِّ وَلِهَذَا يَقُولُ الْفُقَهَاءُ لَا نُسَلِّمُ وَلَكِنَّهُمْ يُشِيرُونَ إلَى الْمُطَالَبَةِ بِالدَّلِيلِ تَارَةً وَإِلَى الْخَطَإِ فِي النَّقْلِ تَارَةً وَإِلَى التَّوَقُّفِ تَارَةً فَإِذَا أَغْلَظُوا فِي الرَّدِّ قَالُوا لَيْسَ كَذَلِكَ وَلَيْسَ بِصَحِيحٍ .[المصباح المنير :الكاف مع الذال] .

وجاء لفظ كذب في القرآن على وجهين :

الأول : الجحد ، قال : ﴿ وَكَذبَ بِالْحُسْنَى ﴾[سورة الليل آية : ٩] ، أي : جحد الجنة ، وقوله : ﴿ كَذبَ وَتَوَلى ﴾ ، أي : جحد وأعرض ، وقوله : ﴿ وَمَا يُكَذبُ بِهِ إِلا كُل مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴾[سورة المطففين آية : ١٢] .

الثاني : تكذيب الرسول ، وهو القول بأنه كاذب ، قال الله : ﴿ وَلَقَدْ كُذبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ ﴾[سورة الأنعام آية : ٣٤] ، ومثله كثير .

وأما قوله : ﴿ فَإِنهُمْ لا يُكَذبُونَكَ ﴾[سورة الأنعام آية : ٣٣] ، فمعناه أنهم لا يكذبونك ولكنهم يكذبونني لأني أنا المخبر لك ، وقيل : ﴿ لا يُكَذبُونَكَ ﴾[سورة الأنعام آية : ٣٣] ، بحجة ، بل هو جحد ومكابرة .

وقيل : المراد أنهم لا يقدرون أن يقولوا لك فيما أنبأتهم به مما في كتبهم ؛ أنك كاذب فيه ، ويجوز أن يكون المراد أنهم لا يكذبونك بقلوبهم ، ولكن يجحدون أمرك بألسنتهم ، وقرئ لا يكذبونك ، أي : لا يصادفونك كاذبا فيما أخبرت به عن المذكور في كتبهم .

ويجوز أن يكون لا يصادقونك كاذبا إذا نظروا في أمرك حق النظر ، وأكذبت الرجل صادفته كاذبا ، وأبخلته صادفته بخيلا ، وقيل : ﴿ كَذبَ بِالْحُسْنَى ﴾[سورة الليل آية : ٩] ، أي : قصر به ، والعرب تقول كذب الرجل في الحرب إذا ترك الحملة .

الكريم(١)

أصل الكرم الشرف والفضل ، ومنه سمي الكرم لفضله على غيره من الشجر ، والكرم أيضا قلادة معروفة تشبه خرزها بورق الكرم ، ثم جاء الكرم بمعنى العز ، قالوا : هو أكرم علينا ، أي : أعز ، وتسمية الله تعالى بأنه كريم يعني : أنه عزيز من صفات ذاته ، وقد يكون أيضا بمعنى الجواد المفضال ، فيكون من صفات فعله .

والكريم وما يتصرف منه في القرآن على سبعة أوجه :

الأول : أن يكون بمعنى الأفضل ، قال الله : ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾[سورة الحجرات آية : ١٣] ، وفي قوله : ﴿كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾[سورة الإسراء آية : ٧٠] ، أي : فضلناهم على غيرهم من الحيوان ، وقال حكاية عن إبليس : ﴿أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾[سورة الإسراء آية : ٦٢] ، أي : فضلت ، وقال : ﴿إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ﴾[سورة الفجر آية : ١٥] ، أي : فضله .

الثاني : الشرف ، قال الله : ﴿وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلا كَرِيمًا﴾[سورة النساء آية : ٣١] ، أي : شريفا قرئ ندخلكم من أدخل ، وما كان من أفعل فإنه يجيء فيه مفعل ، وقرئ مدخلا ، وهو من دخل مدخلا ، وكذلك قوله : ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾[سورة الدخان آية : ٥١] ، إذا جعلته من قام فتحته ، وإذا جعلته من أقام ضممته ، ويجوز أن يكون المدخل موضع الإدخال ، والمراد به الجنة ، كما قال تعالى : ﴿أَنْزِلْنِي مُنْزَلا مُبَارَكًا﴾ [سورة المؤمنون آية : ٢٩] .

الثالث : الصفوح ، قال الله : ﴿إِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾[سورة النمل آية : ٤٠] .

(١) (ك ر م) : كَرُمَ الشَّيْءُ كَرْمًا نَفُسَ وَعَزَّ فَهُوَ كَرِيمٌ وَالْجَمْعُ كِرَامٌ وَكُرَمَاءُ وَالْأُنْثَى كَرِيمَةٌ وَجَمْعُهَا كَرِيمَاتٌ وَكَرَائِمُ وَكَرَائِمُ الْأَمْوَالِ نَفَائِسُهَا وَخِيَارُهَا وَأَكْرَمْتُهُ إكْرَامًا وَاسْمُ الْمَفْعُولِ مُكْرَمٌ عَلَى الْبَابِ وَبِهِ سُمِّيَ الرَّجُلُ وَمِنْهُ مُكْرَمُ مِنْ بَنِي جَعْوَنَةَ كَانَ الْحَجَّاجُ بَعَثَ مَعَهُ عَسْكَرًا فَأَقَامَ بِالْعَسْكَرِ عَلَى قَرْيَةٍ بِالْأَهْوَازِ وَأَحْدَثَ بِهَا الْبُنْيَانَ وَعَمَرَهَا فَنُسِبَتْ إلَيْهِ وَقِيلَ لَهَا عَسْكَرُ مُكْرَمٍ وَهِيَ قَرِيبَةٌ مِنْ تُسْتَرَ عَلَى نَحْوِ ثَمَانِيَةِ فَرَاسِخَ وَبِهَا الْعَقَارِبُ الْمَشْهُورَةُ بِسُرْعَةِ الْقَتْلِ بِلَدْغِهَا . [المصباح المنير :الكاف مع الراء] .

obeikandi.com

الرابع : العزيز ، قال الله : ﴿مَا غَرَكَ بِرَبكَ الْكَرِيمِ﴾[سورة الانفطار آية : ٦] ، أي : العزيز الذي لا يغلب ولا يفوته شيء ، فما الذي غرك به فعصيته .

الخامس : الكثير ، قال الله : ﴿رِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ ، قالوا : هو كثير ، ويجوز أن يكون معناه أنه يأتي صاحبه من غير امتهان ، والمراد كريم صاحبه .

السادس : الحسن ، قال : ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُل زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾[سورة لقمان آية : ١٠] ، أي : حسن ، وهو مثل قوله : ﴿مِنْ كُل زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾[سورة الحج آية : ٥ ، ق : ٧] ، ومثله : ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلا كَرِيمًا﴾[سورة الإسراء آية : ٢٣] ، أي : حسنا .

السابع : الجواد ، قال تعالى : ﴿إِنكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾[سورة الدخان آية : ٤٩] ، أي : كنت كذلك في الدنيا كذا قيل ، ويجوز أن يكون معناه أنك كنت كذلك عند نفسك ، وروي أنه قال : " أنا أعز أهل الوادي وأكرمهم ، فقال الله له في جهنم ذو إنك أنت القائل هذا" ، ويجوز أن يكون المعنى أن ملائكته يقولون له ذلك ، وقيل : أراد إنك الذليل المهين ، ومعنى ذلك أنه أهل للذل والهوان لكفرك .

obeikandl.com

الكلمة[1]

اشتقاق الكلمة من الكلم ، وهو الجرح لأن تأثير الحروف في مخارجها وفي السمع كتأثير الجرح في المجروح ، وإن كانت أثارها أخفى ، وتقارب المعاني وتشابهها بحيث تتقارب الألفاظ ، فإذا قلت : كلمته تكليما ، فإنما أدخلت التشديد في الفعل لتدل على تكرير الفعل ، ألا ترى أن الكلمة الواحدة أقل الكلام .

وهى لا تخلوا من حروف وحركات ، وكان كل واحد من ذلك كلمه من الكلوم ، لأنها أثر بعد أثر تقع في مخارج الحروف وفي السمع ، فلذلك قيل : كلمته تكليما ، وقد يجوز كلمته كلاما ؛ لأنه يعلم أنه لا يكون مصدر كلمته إلا التكليم ، ولا مصدر تكلمت إلا التكلم ، وإن كلاما إنما ناب عن ذلك وقام مقامه ، وإن كان على غير لفظ الفعل ، لأنهم لم يستعملوا الفعل منه بغير تشديد ما لم تحل الكلمة ، وإن قل عدد حروفها من التكرير ؛ ولأنهم كرهوا التباس هذا الفعل ما هو من الجرح أيضا .

والكلمة في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : الخبر ، قال الله : ﴿وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبكَ﴾[سورة يونس آية : ١٩] ، أي : لولا الخبر السابق بأن الاستئصال لا ينزل بهذه الأمة لأنزلته بها .

الثاني : قوله تعالى : ﴿لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِي﴾[سورة الكهف آية : ١٠٩] ، قيل : يعني : مقدوراته ، وقيل : نعمه وعطاياه ، وعندنا أنه أراد بكلماته وعده لأهل الجنة ووعده لأهل النار ، وهو مثل قوله : ﴿لا مُبَدلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾[سورة الكهف آية : ٢٧ ، الأنعام : ١١٥] ، والمراد أنه لو يفعل ما وعد به أهل الجنة وأوعد به أهل النار حالا بعد حال ، فيما يستقبل وكتب ذلك بما في البحر ، وقد جعله مدادا وزاد عليه في مثله لنفد قبل نفاد

---

(١) [كلم] : الكَلْم : الجرح ، والجميع : الكلُوم . كلمته أكلِمه كَلماً ، وأنا كالمٌ ، وهو مَكلومٌ . أي : جرحته .
وكَليمُك : الذي يُكَلِّمك وتُكَلِّمه .
والكَلِمةُ : لغة حجازية ، والكِلْمةُ : تميمية ، والجميع : الكَلِمُ والكِلَمُ ، هكذا حكي عن رؤبة : لا يسمع الرَّكبُ به رجع الكِلَمْ . [العين :الكاف والنون والفاء] .

ذلك ، وإنما أراد الإخبار عن كثرة ما أعده للفريقين ، وقيل : كلماته معلوماته ما خلق ، وما يريد أن يخلق والجملة أنه لم يرد الموجود ، وإنما يريد ما يستأنف ، لأن ما حصل في الوجود معروف قدره .

الثالث : قوله : ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾[سورة النساء آية : ١٧١] ، قيل : أراد أمره ، والمعنى عندي يرجع إلى الخلق ، أي : خلقه في رحمها من غير ذكر ، وسمي في رحمها من غير ذكر وسمي ليس أيضا في موضع آخر كلمة ، وهو قوله : ﴿بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾[سورة آل عمران آية : ٤٥] ، وذلك أن الناس ينتفعون به كما ينتفعون بكلام الله ، ويجوز أن تكون الكلمة هنا من ، قوله : ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ ، وهو راجع إلى الخلق على ما ذكرنا ، ويجوز أن تكون كلمته ألقاها ، أي : بشارته ألقاها إلى مريم على لسان ملك ، كما قال لنا : ﴿سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلا ثَقِيلا﴾[سورة المزمل آية : ٥] ، وقيل ألقاها عليها أي : خلقه في بطنها ، وكان الله أخبر به في الكتب المتقدمة ، فلما ولد من غير ذكر ، قال الله لها : أن تلك الكلمة ، أي : المعنى بالكلمة ، وأما الكلمات في قوله تعالى : ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾[سورة البقرة آية : ١٢٤] ، فمعناه أمره إياه وابتلاؤه بها تكليفه إياه طاعته فيها وسمي التكليف ابتلاء على مقتضى العرف ، وذلك إنا لا نعرف ما يأتي الرجل منا ، وما نذر حتى يكلفه ، والله عالم بنفسه بغير محتاج إلى اجتلاب العلم بالابتلاء ولكنه على ما ذكرته .

opeikandl.com

الباب الثالث والعشرون

فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله لام

اللباس[1]

اللباس واللبس : مَا يلبس واللبس المصدر ، وسمي الخلط لبسا لأن وجه الصواب مستمر معه ، وأصل اللبس الستر ، واللبوس مثل اللباس ، قال الشاعر :

لُبُوسًا ومَطْعَمًا

وجاء في القرآن بمعنى الدرع ، وهو قوله تعالى : ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ﴾[سورة الأنبياء آية : ٨٠] .

واللباس في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : قوله : ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾[سورة البقرة آية : ١٨٧] ، جاء في التفسير أنهن سكن لكم ، وأنتم سكن لهن ، وقيل : معناه أن الرجل والمرأة يتضامان فيصير كل واحد منهما بمنزلة اللباس للآخر ، ومن الأول قوله : ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾[سورة النبأ آية : ١٠] ، أي : سكنا .

الثاني : الثبات ، قال الله : ﴿أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ﴾[سورة الأعراف آية : ٢٦] ، ومعنى قوله : ﴿أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ﴾[سورة البقرة آية : ٢٦] ، أعطيناكم ، كما قال : ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾[سورة الحديد آية : ٢٦] ، والحديد إنما يستتار من الأرض ، وعبر عن الإعطاء بالإنزال ، كما يعبر عن الجعل بالرفع ، فتقول : رفعنا أمرنا إلى الوالي ، وقيل : إنما قال : ﴿أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا﴾[سورة الأعراف آية : ٢٦] ، لأن أصول اللباس ينبت كماء السماء ، وقيل : بذرة كان من السماء .

---

(١) (ل ب س) : لَبِسْتُ الثَّوْبَ مِنْ بَابِ تَعِبَ لُبْسًا بِضَمِّ اللَّامِ وَاللُّبْسُ بِالْكَسْرِ وَاللِّبَاسُ مَا يُلْبَسُ وَلِبَاسُ الْكَعْبَةِ وَالْهَوْدَجِ كَذَلِكَ وَجَمْعُ اللِّبَاسِ لُبُسٌ مِثْلُ كِتَابٍ وَكُتُبٍ وَيُعَدَّى بِالْهَمْزَةِ إِلَى مَفْعُولٍ ثَانٍ فَيُقَالُ أَلْبَسْتُهُ الثَّوْبَ وَالْمَلْبَسُ بِفَتْحِ الْمِيمِ وَالْبَاءِ مِثْلُ اللِّبَاسِ وَجَمْعُهُ مَلَابِسُ . [المصباح المنير :اللام مع الباء] .

الثالث : قوله : ﴿وَلِبَاسُ التقْوَى﴾[سورة الأعراف آية : ٢٦] ، قالوا معناه : العمل الصالح ، وهو على هذا التاويل مرتفع على الابتداء ، وذلك من صفته ، وقيل معناه أن ستر العورة لباس المتقين ، وقيل : رفع بإضمار هو والمعنى ، ولباس التقوى وهو خير ، وقيل : لباس التقوى اللباس الخشن الذي يلبسه من يختار العبادة ، وأشير به إلى الصوف ، وبالأول إلى الكتان والقطن ، وقيل : هو لباس الصلاة ، لأن الصلاة أحق ما يسمى بالتقوى ، وقيل : أنزلنا عليكم الوحي الذي فيه لباس التقوى ، ولباس التقوى على هذين التأويلين منصوب ، وقال ابن الكلبي : لباس التقوى العفاف ؛ لأن المؤمن لا تبدوا عورته وإن كان عاريا ، والفاجر لا يزال تبدوا عورته وإن كان كاسيا ، وذكر اللباس هاهنا الذكر عن بني آدم .

obeikandl.com

لولا[1]

لولا كلمتان يعدهما النحويون من حروف الرفع على المسامحة ، وإنما يرتفع ما بعدهما على الابتداء وضم لا إلى لو للمعنى الحادث بينهما ، وهو الدلالة على الشيء لا يقع من أجل غيره ، كقولك : لولا زيد لخرجنا ، فزيد مبتدأ لم يعمل فيه لو ولا لا ، وأما قولهم لولاك فغير جائز عند المحققين .

والصواب لولا أنت لكان كذا على الابتداء والخبر ، فإذا قلت : لولا زيد تأخذه ، فزيد منتصب بفعل مضمر ، والظاهر تفسير ، ويسمى هذا تحضيضا ، والتحضيض توكيد الأمر والمعنى ، لولا تأخذ زيدا تأخذه ، وقال القتبي : لولا تكون في بعض الأحوال بمعنى هلا ، وذلك إذا رأيتها بغير جواب تقول : لولا فعلت كذا تريد هلا ، قال الشاعر :

تعدون عقر البيت أفضل مجدكم ... بني ضوء طري لولا الكمي المقنعا

يريد ولا تعدون الكمي المقنع ، فإذا رأيت لولا جوابا كقوله : ﴿فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ﴾ [سورة الصافات آية : ١٤٣-١٤٤] ، فهي التي تكون لأمر لا يقع لوقوع غيره .

وجاء في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : على قول بعض المفسرين بمعنى لم ، وهو قوله : ﴿فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلا قَوْمَ يُونُسَ﴾[سورة يونس آية : ٩٨] ، معناه أنهم لم يؤمنوا يعني : أهل القرية ، ثم استثنى قوم يونس بالنصب على الانقطاع مما قبله ؛ ألا ترى أن ما بعد إلا في الجحد يتبع ما قبلها ، فيقول : ما قام أحد إلا زيد ، وإذا قلت : ما فيها أحد إلا كلبا وحمارا نصبت ؛ لأنهما منقطعان عما قبل ، إلا وكذلك قوم يونس منقطعون من قوم غيره من الأنبياء ممن لم ينفعه إيمانه ، ولو كان الاستثناء هاهنا قد وقع على طائفة منهم لكان رفعا ، وقيل : ﴿إِلا قَوْمَ

---

(١) " لَوْلاَ " مَعْنَيَانِ : أَحَدُهما " هَلاَّ " والآخَرُ " لَوْ لَمْ يَكُنْ " . ووَقَعَ القَوْمُ في لَوْلاَءٍ شَدِيْدَةٍ : إذا تَلاَوَمُوا فقالوا : لَوْلاَ ولَوْلا . [المحيط في اللغة :ما أوله الام] .

يُونُسَ ﴾[سورة يونس آية : ٩٨] ، مردود إلى قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة يونس آية : ٩٦] ، إلا قوم يونس .

ويكون على أن يؤمن أهل قرية بأسرها ، حتى لا يشتد منهم أحد إلّا قوم يونس ، يقول : فهلا كانت القرى كذلك ، وهذا الوجه أجود من الأول ، وقال بعضهم : إلا هاهنا بمعنى سوى ، أي : فهلا أهل قرية سوى قوم يونس آمنوا فنفعهم إيمانهم وزال عنهم العذاب ، وعندنا أنهم آمنوا قبل أن يروا من العذاب ما يقع به العلم الضروري ؛ بأنهم لو صاروا إلى ذلك كانوا ملجأين ، والملجأ غير محمود على فعل الخير .

قال الثاني : بمعنى هلا ، قال الله : ﴿ فَلَوْلا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ ﴾[سورة هود آية : ١١٦] ، وقوله : ﴿ فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا ﴾[سورة الأنعام آية : ٤٣] ، وقوله : ﴿ فَلَوْلا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴾[سورة الواقعة آية : ٨٦] وكذلك لو ما في قوله تعالى : ﴿ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلائِكَةِ ﴾[سورة الحجر آية : ٧] ، أي : هلا وهذا والأول عندنا سواء .

الثالث : التي تكون لأمر لا يقع لوقوع غيره ، قال الله : ﴿ فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [سورة يس آية : ١٤٣-١٤٤] ، وقيل : المسبحون المصلون ، وقد ذكرناه ، ويجوز أن يكون من التسبيح .

لَمَّا ولِمَا

لما تكون بمعنى لم وبينهما فرق ، ويدخل فيه الألف للتوكيد ، وإذا كان مخففا كان بمعنى إلا ، فالذي هو بمعنى لم ، قوله : ﴿بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ﴾[1] [سورة ص آية : ٨] ، والمخفف الذي يكون دخوله بمعنى إلا ، وقوله : ﴿وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾[سورة يس آية : ٣٢] ، وقوله : ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾[سورة الطارق آية : ٤] ، أي ما كل نفس إلا عليها حافظ ، وهي لغة لهذيل ، والمشدد أيضا بمعنى حين ، قال الله : ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾[سورة الزخرف آية : ٥٥] ، وفي المخفف وجه آخر .

قال سيبويه : سألت الخليل عن قوله : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النبِيينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾[سورة آل عمران آية : ٨١] إلى قوله : ﴿لَتُؤْمِنُن بِهِ﴾[سورة آل عمران آية : ٨١] ، فقال : ما هنا بمنزلة الذي ، ودخلتها اللام كما دخلت على أن حين قلت : لمن فعلت ؟ لأفعلن ، ودخلت على نية اليمين ، واللام الثانية للجواب ؛ كقوله : ﴿لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَن جَهَنمَ﴾[سورة الأعراف آية : ١٨] .

وقال الكسائي : هو على مذهب الجزاء ، قال الله : ﴿ثُم جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدقٌ لِمَا مَعَكُمْ﴾[سورة آل عمران آية : ٨١] ، جواب لقوله : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النبِيينَ﴾[سورة آل عمران آية : ٨١] .

وقال الفراء : قرئ : ﴿لَمَا آتَيْتُكُمْ﴾[سورة آل عمران آية : ٨١] ، بكسر اللام ، والمراد إذ أخذت ميثاقكم بهذا الكلام ، يعني : قوله : ﴿لَتُؤْمِنُن بِهِ وَلَتَنْصُرُنهُ﴾[سورة آل عمران آية : ٨١] . والفرق بين لما ولم أن لما يوقف عليها نحو قد جاء زيد ، فتقول : لما ، أي : لم

---

(١) قال الرازي : أما قوله تعالى : ﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ﴾ فموقعه من هذا الكلام أنه تعالى يقول هؤلاء إنما تركوا النظر والاستدلال لأني لم أذقهم عذابي ، ولو ذاقوه لم يقع منهم إلا الإقبال على أداء المأمورات والانتهاء عن المنهيات وثانيها : أن يكون المراد من قوله : ﴿بَل هُمْ فِى شَكّ مّن ذِكْرِى﴾ هو أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم من عذاب الله لو أصروا على الكفر ، ثم إنهم أصروا على الكفر ، ولم ينزل عليهم العذاب ، فصار ذلك سبباً لشكهم في صدقه . [مفاتيح الغيب :١٣/ ١٦٥] .

يجيء ، ولا يجوز ذلك في لم وفي كلامهم كاد ولما ، أي : كاد يفعل ولم يفعل ، ولما جواب قد فعل ولم جواب فعل ، لأن قد للتوقيع . قال سيبويه : ليست ما في لما زائدة ، لأن لما تقع في مواضع لا يقع فيها لم ؛ فإذا قال القائل : لم يأتني زيد فهو نفي لقوله : أتاني وإذ قال : لما يأتني فمعناه أنه لم يأت وأنا متوقعه .

obeikandl.com

اللغو[1]

أصل اللغو الصوت ، وسواء كان له معنًى أو لم يكن بمعنى ، ثم سمي ما يتكلم به كل جيل لغة ، وأصلها لغوة ، كما قيل : أن بك قدة ، والأصل قدوة ومثال هذا كثير ، ثم قالوا : لغو الطائر ثم لما رأوا ذلك صوتا لا معنى له ، جعلوه أصلا في كل شيء لا معنى له ، فقالوا : لغى فلان يلغوا ؛ إذا تكلم بكلام لا معنى له ، ومنه قوله : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْءَانِ وَالْغَوْا فِيهِ﴾[سورة فصلت آية : ٢٦] ، أي : عارضوه بكلام لا معنى له لتشغلوه به عن قرأته ؛ ثم سموا المسقط الملغي لغوا ؛ لأنه في سبب ما لا معنى له ، وقيل : ألغيت الشيء إذا أسقطته ، وقال جرير :

ويذهب بينها المري لغوا ... كما ألغيت في الدية الحوارا

ثم سموا الباطل لغوا تشبيها بالمسقط الملغي ؛ لأن الباطل يسقط مع الحق ؛ فلا يكون له ثبات ، ويقال للفحش لغو ؛ لأنه ساقط من الكلام مطرح لا يلتفت إليه ، ويقال : هو لغو ولغا ، وقيل : اللغو في اليمين ؛ لأنه لا إثم فيه ، فكأنه ساقط لا معنى له ، ويجوز أن تكون اللغة من قولهم لغى الشيء يلغي إذا يعلو به فأما اللهجة فهي من قولهم : لهجت بالشيء إذا لزمته .

واللغوُ في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : اللغو في اليمين ، قال الله : ﴿لا يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾[سورة البقرة آية : ٢٢٥] قالوا : هو قول لا والله ، ويلي والله مما يقوله الرجل ولا يعتمده ، وقيل : هي اليمين الكاذبة التي يرى صاحبها أنه صادق فيها ، وليس فيها كفارة ولا إثم ، وقال

---

(١) (ل غ و) : لَغَا الشَّيْءُ يَلْغُو لَغْوًا مِنْ بَابِ قَالَ بَطَلَ وَلَغَا الرَّجُلُ تَكَلَّمَ بِاللَّغْوِ وَهُوَ أَخْلَاطُ الْكَلَامِ وَلَغَا بِهِ تَكَلَّمَ بِهِ وَأَلْغَيْتُهُ أَبْطَلْتُهُ وَأَلْغَيْتُهُ مِنْ الْعَدَدِ أَسْقَطْتُهُ وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يُلْغِي طَلَاقَ الْمُكْرَهِ أَيْ يُسْقِطُ وَيُبْطِلُ وَاللَّغْوُ فِي الْيَمِينِ مَا لَا يُعْقَدُ عَلَيْهِ الْقَلْبُ كَقَوْلِ الْقَائِلِ لَا وَاَللَّهِ وَبَلَى وَاَللَّهِ وَاللَّغَى مَقْصُورٌ مِثْلُ اللَّغْوِ وَاللَّاغِيَةُ الْكَلِمَةُ ذَاتُ لَغْوٍ وَمِنْ الْفَرْقِ اللَّطِيفِ قَوْلُ الْخَلِيلِ اللَّغَطُ كَلَامٌ لِشَيْءٍ لَيْسَ مِنْ شَأْنِكَ وَالْكَذِبُ كَلَامٌ لِشَيْءٍ تَغُرُّ بِهِ وَالْمُحَالُ كَلَامٌ لِغَيْرِ شَيْءٍ وَالْمُسْتَقِيمُ كَلَامٌ لِشَيْءٍ مُنْتَظِمٍ وَاللَّغْوُ كَلَامٌ لِشَيْءٍ لَمْ تُرِدْهُ . [المصباح المنير :اللام مع الغين] .

سعيد بن جبير : اللغو أن يحلف الرجل على الحرام ؛ فلا يؤاخذه الله بتركه ، وهذا موافق لتأويل من تأول قوله تعالى : ﴿وَلا تَجْعَلُوا اللهَ عُرْضَةً لأَيْمَانِكُمْ﴾[سورة البقرة آية : ٢٢٤] ، هو أن يمتنع باليمين عن فعل مباح أو يقدم على فعل محظور ، وعند الكوفيين : أن الغموس لا كفارة فيها ، لأنها يمين و لا يترقب برها ولا حنثها فهي كاللغو ، والمؤاخذة المعاقبة ، ويقال : لا آخذك الله أي : لا عاقبك .

الثاني : الباطل ، قال الله : ﴿وَالذِينَ هُمْ عَنِ اللغْوِ مُعْرِضُونَ﴾[سورة المؤمنون آية : ٣] ، وقال : ﴿وَإِذَا مَروا بِاللغْوِ مَروا كِرَامًا﴾[سورة الفرقان آية : ٧٢] ، أي : بالباطل ، وقيل : يراد باللغو هاهنا جميع ما يلغى أي : يطرح ، وقيل : أراد أنهم إذا ذكروا النكاح كبوا عنه ، وقوله : ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾[سورة القصص آية : ٥٥] ، وقيل : يعنى به هاهنا الكفر .

الثالث : مكروه الكلام ، قال : ﴿لا تَسْمَعُ فِيهَا لاغِيَةً﴾ [سورة الغاشية آية : ١١] ، : ﴿لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا تَأْثِيمًا﴾ [سورة الواقعة آية : ٢٥] ، واللاغية مصدر مثل العافية ، والعاقبة .

اللام المكسورة

أجمع أهل العربية أن الحروف حقها البناء على السكون ؛ فإذا وقع الحرف أولا امتنع النطق به ساكنا ؛ فاضطر الناطق إلى حركتها فحركت كلها بالفتح ؛ لأنه أخف الحركات إلا حرفين الباء واللام ، فقيل : مررت بزيد ؛ وهذا لزيد فأما الباء فعلة كسرها إنها لا تنتقل عن باب الجر إلى غيره ، فألزم الكسر لأن عملها الكسر ؛ ولأنها لا تتغير عن حالها كما تتغير اللام والكاف ، وذلك أن اللام قد تكون توكيدا والكاف تكون اسما وحرفا وكونها اسما ، قال الشاعر :

وَصَالياتٍ كَكَما يُؤْثفينَ

فالكاف الثانية اسم لدخول الكاف الأولى عليه ؛ لأن الحرف لا يدخل على الحرف فألزم الباء الكسر لما فارقت أخواتها ؛ وأما لام الجر فإنها كسرت إزالة الالتباس ، وذلك إنك لو قلت : إن هذا لزيد ففتحت اللام لم يعرف ليزيد التوكيد والتمليك ؛ ألا تراهم لما ارتفع الالتباس في المضمر فنحوها ، فقالوا : هذا لك وله .

واللام المكسورة في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : بمعنى كي ، قال الله : ﴿لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ﴾[سورة يس آية : ٦] ، أي : كي تنذرهم .

الثاني : بمعنى أن ، قال : ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾[سورة آل عمران آية : ١٧٩] ، وقوله : ﴿مَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾[سورة الأنفال آية : ٣٣] ، وقوله : ﴿وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾[سورة إبراهيم آية : ٤٦] ، أي : أن تزول .

قالوا **الثالث** : في موضع لأن لا ، قال : ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾[سورة النحل آية : ٥٥] ، أي : لأن لا تكفروا ، وهو مثل قوله : ﴿يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلوا﴾[سورة النساء آية : ١٧٦] ، قيل : لأن لا تضلوا ، وليس لا عند المحققين النحويين مما يحذف في هذا الموضع ، وإنما المعنى في ذلك كراهة أن تضلوا ، ومعنى قوله : ﴿إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾[سورة العنكبوت آية : ٦٥-٦٦] ، أنهم أشركوا معنا غيرنا فعبدوه دوننا ليكفروا

نعمنا عليهم ، ويطرحوا شكرها وليتمتعوا في الدنيا بإطراح عبادتنا ، وذلك أن العبادة فيها على النفس مشقة ، فهم أطرحوها حبا للتمتع وللترفه .

وقال بعضهم : معناه جعلوا ما رزقناهم وأنعمنا به عليهم سببا إلى الكفر ، واللامات ثمانية : لام القسم ، ولام الابتداء ، ولام الإضافة ، ولام الأمر ، ولام كي ، ولام الأصل ، ولام التعريف ، ولام الاستغاثة ، ولام القسم : لأمر لقد ولا يجوز أن تكون لام الابتداء ؛ لأن لام الابتداء لا تلحق إلا الاسم ، وما كان بمنزلة الاسم من الفعل المضارع في باب إن ، ولام الإضافة كقوله : ﴿ لله الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ﴾[سورة الروم آية : ٤] ، ولزيد الثوب ، ولام الأمر كقوله : ﴿ لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ ﴾[سورة الطلاق آية : ٧] ، ولام كي مثل : ﴿ وَلِيَرْضَوْهُ ﴾[سورة الأنعام آية : ١١٣] ، ولام الأصل : ﴿ أَلْهَاكُمُ التكَاثُرُ ﴾[سورة التكاثر آية : ١] ، ولام التعريف : ﴿ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ﴾[سورة البقرة آية : ٥٣] ، ولام الاستغاثة ، قول الشاعر :

يَا بَني بكرٍ أَبشِروا لي كَليبا